دنيا

سلمى هيثم عزمي

دنيا
سلمى هيثم
تدقيق لغوي : احمد عبدالله
تصميم الغلاف : عبير محمد
رقم ايداع: 2017/3851
ترقيم دولي: 978-977-6594-13-5

دار فصلة للنشر و التوزيع
العزيزيه - منيا القمح - مصر
٠٠٢٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١
fasla.pub@gmail.com
www.fasla.org

مدير عام : عمر الحضري

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظه

الطبعه الأولي يناير ٢٠١٧

جميع حقوق النشر محفوظه لدار فصلة للنشر و التوزيع
إن أي تصوير أو اعادة طباعه أو نشر بشكل ورقي أو الكتروني
أو ترجمته أو تسجيله صوتيا بدون إذن كتابي مسبق من الدار
يعرض صاحبه للمسائله القانونيه

دنيا

وسلاماً على من يستحق السلام

سلمى هيثم عزمي

دار فصلة للنشر و التوزيع

أنا المنطق والتعبير ...

أنا الفكرة وأنا التغيير ...

أنا الدنيا اللي جوايا وأنا البطل في كل حكاية ...

أنا اللي من بره متفهمهوش ...

وأنا العالي الي مهما عليت متوصلوش ...

أنا الصوت وقت السكات ...

وأنا السكوت وسط الدوشة ...

أنا البعيده

القاهرة

لا أعلم لماذا أطلق عليها هذا الاسم!هل هي قاهرة الغزاة أم لأنها قاهرة الأحلام؟

في إحدى الشوارع الهادئة في حي التجمع الخامس يقع مبنى يظهر عليه علامات السكينة مكتوب عليه -البداية- ومن هنا كانت بدايتنا.
من الممكن أن تكون هذه المستشفى بداية حكاية جديدة لإنسان أو نهاية المطاف لإنسان آخر.
خلف أبواب المصحة الزجاجية توجد صالة استقبال واسعة، اللون الأبيض يطغى على المكان كعادة جميع المستشفيات مع بعض الديكورات الزرقاء لكسر كآبة المكان، يوجد على الجدران بعض اللوحات والبراويز متفاوتة الأحجام، على الجدار المقابل للباب وفي آخر صالة الاستقبال توجد كلمة مكتوبة بالزجاج الأزرق لا تستطيع تمييزها لطول المسافة واتساع المكان،و لكن إذا اقتربت تجدها كلمة -البداية- على الجانب الأيسر يوجد مكتب كبير له كرسي من الجلد تجلس عليه فتاة مظهرها الخارجي لا يوحي أبدًا بمكان وطبيعة عملها كسكرتيرة في المستشفى. فتاة خمرية البشرة لها أعين رمادية من الواضح أنها صناعية ولا تتفق مع لون بشرتها، ترتدي قميصًا ورديًا ضيق وخصلات شعرها تقف عند بداية رقبتها.
يقف أمام مكتبها رجل في بدايات عقده الخامس قد ضرب الشيب شعر رأسه فزاده وقارًا وفي يده بعض الأوراق يناقشها مع السكرتيرة.
وعلى الجانب الأيمن يوجد العديد من الكراسي الجلدية الزرقاء تجلس عليها باقي العائلة.
تلك العائلة التي لم يتمنى يومًا أحد أفرادها أن ينقضي بهم الحال في هذا المكان.
تجلس على إحدى الكراسي سيدة في منتصف الأربعينات يمكنك أن تميز من عيناها نظرة الحزن بسهولة، يدها ممسكة بيد الفتاة بجانبها.
فتاة ترتدي فستان أسود اللون ومن فوقه جاكيت رمادي له قلنسوة كبيرة تخفي معالم وجهها وتنظر في الأرض.

مر بعض الوقت الممل لكن الفتاة لم تشعر بالملل ولم تحاول أن تحسب الوقت أو ترى ما الذي يجري.
لم يكن يعنيها ذلك.
لحظات أخرى وجاء الرجل من عند المكتب قائلاً:
- خلاص أنا خلصت كل الإجراءات.
فانتبهت له الفتاة ورفعت رأسها لهم.
فتاة بيضاء البشرة جميلة العينين رغم السواد المحيط بهما، يتدلى من تحت قلنسوتها بعض الخصلات الحمراء الناعمة. قصيرة القامة منحوتة القوام، نظرت له نظرة لا تحمل أي تعبير.
فقالت السيدة: مش عاوزة أي حاجة يا بنتي مش محتاجة حاجة؟
هزت الفتاة رأسها نافية فأردفت السيدة بصوت يظهر الحنان:
- لو خايفة أو مترددة بلاش وقومي روحي معانا و...
فرمقها الرجل بنظرة محذره فهمت منها أن تكف عن هذا الكلام.
نظرت لها الفتاة وجاهدت كثيرًا حتى ظهر عليها شباح ابتسامة صناعيه لتطمئن بها والدتها القلقة.
قطعت صمتهم ممرضة ترتدي بدلة زرقاء فاتحة قائلة:
- الأوضة جاهزة يا فندم، اتفضلي معايا يا آنسة.
رد الرجل:
- متشكرين أوي، بس هي أوضة كام؟
نظرت الممرضة على الملف في يدها:
- ٩١٦ حضرتك، هنتواصل مع حضراتكوا بالتليفون كل فتره
ربتت السيدة على يد الفتاة وقالت بصوت يدل على عاصفة البكاء القادمة:
- خلي بالك من نفسك يا حبيبتي.
وضمتها لصدرها.
عندما وجدها الرجل ستبدأ في البكاء جذب الفتاة إليه وقبلها من رأسها ثم حملت الممرضة حقيبة الفتاة و ذهبتا بخطوات بطيئة صوب السلم القابع في

آخر الصالة.
قالت السيدة بصوت لم يسمعه غيرها:
- ربنا معاكي يا بنتي.
عندما اختفت الفتاة والممرضة داخل السلم خرج كل من الرجل والسيدة من المصحة إلى الشارع فاصطدم بهم هواء الشتاء البارد واستقلا سيارتهم ثم بدأت السيدة في البكاء بدون صوت وظلت تنظر على المبنى بجانبها حتى تجاوزوه واختفى بعد أن ابتعدت السيارة عنه تمامًا ...
ابتعدت السيارة والسيدة تعلم أنها تركت قلبها هناك ولا تعلم مصيرة ...
مرت الفتاة مع الممرضة على أكثر من غرفة لإجراء الفحوصات والتحاليل اللازمة لمعرفة حالتها العضوية بدقة، فقد كان هذا بمثابة المراسم الرسمية للدخول و كان الطابق الأول والثاني من المستشفى مخصصان لإجراء تلك الكشوفات المبدأيه
تنقلتا في أرجاء الطابقين في رحلة طويلة لم ترى منها الفتاة شيء، لم تلمح أي من ملامح المستشفى، كان جوابها علي كل تساؤلات الأطباء والممرضات بحركة الرأس ليس أكثر لكن علي كل حال قد اعتاد الأطباء هذا بحكم عملهم في هذا المكان.
بعد الكثير من الأسئلة وبعض السخافات من الأطباء وكمية لا بأس بها من الدماء التي راحت في التحاليل أخيرًا صحبتها الممرضة لغرفتها.
غرفتها المنتظره الفارغه القابعه في الدور الرابعه...غرفة -٩١٦-.
بالنسبة للفتاة لم تكن تريد سوى أن تخلد للسريرفي هدوء. و بعد هذا العناء ألقت الممرضة في وجهها حفنة من الإرشادات والتعليمات التي لم تسمع منها الفتاة شيء ولم تفهم منها الممرضة شيء . فمن كثر ما قالتها أصبحت ترددها دون تفكير ولكن ما إلتقطته الفتاه من حديث الممرضة كان:
- ارتاحي دلوقت وبكرة الدكتور هيعدي عليكي.
وأخيرًا خرجت.
أخرجت الفتاة زفيرًا قويا إنساب من بين شفتيها، لم يكن زفيرًا بل شعرت كأنه

دخانٍ ساخن يخرج من حلقها.
فتحت حقيبتها -التي لم تحضرها لنفسها- وأخرجت منها أول ما وجدت.
خلعت الجاكيت والفستان. فظهر شعرها الملفوف على شكل ما يطلق عليه الفتايات (كحكة).
أطلقت لشعرها الحرية فأخذ في الهبوط والالتفاف في عكس اتجاهه، من حجم ربطة شعرها يمكنك أن تقول أنه لن ينتهي قبل ان يلمس الأرض ولكن على غير توقع توقف شعرها عند آخر خصرها بلونه الأحمر ونعومته التي ليس لها مثيل.
ارتدت ملابسها واقتربت من شباك الغرفة ونظرت منه فلم تجد سوي الليل البارد حالك الظلمة الذي طالما شغل تفكيرها لتصل لماهيته وتفسيره.
الليل ... ذلك الوقت الذي يصفه كل شخص من وجهه نظره.
بينما هي ترى فيه مزيج من السحر والألم ... فعندما تنفرد بنفسك ليلاً تأتي لك جميع أفكارك فتنظر بداخلك وتبحث عن نفسك القديمة ولا تجدها! لتدرك وقتها كم تغيرت ... كم تغيرت نفسك وكم تألمت روحك.
تتجمع عليك ذكرياتك لتجد نفسك محاصر بينهم، تسير الحياة حولك كما هي بينما تتوقف عندك للحظات لتسترجع فيها كل ما بداخلك، وتصاغ أحزانك على شكل عبرة، عبرة تكتمها أنت في أعماق نفسك ولا تظهر لك إلا ليلاً، ثم تطوي عينيك فوقها لتتخلص من هذا الوجع ...ثم يمر يومك التالي لتعود مرة أخرى أنت ونفسك والليل.
هل يقسو علينا الليل؟
لا تظلمن الليل بوجع قلوبكم فهو فقط يخرج ما تكتمه جراحكم.
شعرت الفتاة بتعب شديد فتكورت في سريرها ونامت، نامت وهي في قرارة نفسها لا تعلم على أي حال ستستيقظ.
فتحت عيناها صباحًا فوجدت نور الشمس يحرق عيناها فأغلقتهما سريعًا بحركة لا إرادية، بعد لحظات استطاعت أن تفتح عيناها مجددًا، فجلست على سريرها وهي تتأمل كل ما حولها، وضعت قدمًا على الأرض لكنها لم تنجح في

ذلك فوجدت قدمها تغوص في الأرض وكأن أرض الغرفة فجأه تحولت لرمال الشاطئ المبللة، نظرت الفتاه فوقها فلم تجد سقف الغرفة فوق رأسها و كأنه قرر مغادرة المبني.و بينما كانت تبحث عن السقف لاحظت ان الأرض قد أخذت في ابتلاع ساقيها حتى اختفت ركبتاها.
هي لا تتذكر أين كانت أو ما هذا المكان، كل ما كانت تشعر به هو العطش والاحتراق من أشعة الشمس الصادرة من السقف الذي قرر فجأة أن يختفي .
مع مرور الوقت استمرت الأرض في ابتلاعها دون أن تشبع والفتاة لا تحرك ساكنًا حتى بدأت في الاختناق و شعرت بروحها تسحب بالتدريج، حاولت المقاومة ولكن هل جربت يومًا أن توقف موج البحر؟ هذا بنفس مستوى صعوبة ما كانت تفعله، ظلت تختنق وتختنق حتى أصدرت صرخة مكتومة استيقظت على أثرها من كابوسها المرهق و وجدت نفسها مازالت في غرفتها، ظلت ترتجف لبعض الوقت وتتنفس بسرعة كمن كان يجري في الصحراء لساعات طوال، كانت الشمس لم تسطع بعد ف ألقت نظرة سريعة على سقف الغرفة للتأكد من أنه لم ينوي الرحيل حتى الآن ثم حاولت النوم مرة أخرى وكان لها ذلك.
كانت هذه أول ليلة لها ...
أول ليلة تقضيها في مصحة -البداية- النفسيه التي تشير علامات القدر أنها ستمكث بها فترةلا بأس بها، ولكنها لا تكترث لذلك. لا تكترث لأي شيء ولا تهتم بشيء مهما كان وجوده مهم.
خرجت الشمس من مخبأها و حل صباح اليوم التالي...
إذا اتبعنا أسلوب تركيز تلك الفتاة وملاحظتها لن نتعرف قط على ملامح الغرفة.
كانت غرفة واسعة نسبيًا عندما تدخل من بابها الذي يقع في يسار الغرفة تجد خزانة ملابس على اليمين وفي الحائط المقابل يوجد شباك زجاجي،على اليسار يوجد تلفاز معلق كعادة المستشفيات وأسفله كرسيان. السرير عمودي على الجدار الأيمن المواجه للتلفاز، وفوق السرير توجد هي ... متكورة في مكانها تحتضن الوساده كأنها تتشبث بها،مستيقظة لكنها مغمضة العينين.
لا تعلم متى استيقظت لكنها تتذكر الحلم جيدًا، فتحت عيناها ونظرت حولها

فوجدت شبح اللون الأبيض يخيم على المكان، ظلت تحدث نفسها بدون صوت:
- اللون الأبيض ... لماذا الأبيض هنا مختلف عن بياض جدران غرفتي في المنزل رغم أنه نفس اللون؟ ولماذا يفضلون وضعه في المستشفيات ... من أخبرهم أنه يرمز للهدوء ولا يرمز للكآبة والملل. لكنها تذكرت شيئًا.
إذا جاءت سيدة لتضع مولودًا في المستشفى ستكون فرحه به ومشغولة معه ولن تشعر أبدًا بهذا الملل، ربما لن تلحظ وجود اللون الأبيض بهذه الكمية وبناء على ذلك فالعيب ليس في اللون!
بل في الحالة التي تنظر للون إذا كانت سعيدة لن يؤذيها وإذا كانت في مثل حالتها سترى كل شيء ممل.
فنظرت إلى الجدار آسفة معتذرة عن ظنها السئ في لونه بعد أن علمت أن العيوب ليست في ما نراه بل تكمن العيوب في من ينظر إليها
الساعة الثانية ظهرًا:هناك ممرضة تسير في الردهة متمهله
هيام ... ٣٠ سنة، الممرضة الخاصة للدكتور سامر خمرية ذات شعر مصبوغ باللون الأصفر الفاقع مثلما تفعل الكثير من الممرضات، و تضع قرطًا له فص في أنفها.
وصلت لغرفة سامر وطرقت الباب ثم دلفت:
-دكتور سامر، تحاليل الحالة اللي جت امبارح نتيجتها طلعت، وتقارير الدكاترة كمان.
نظر لها أن تستكمل حديثها فلم تفهم فقال على مضد:
- هاا ؟
- التحاليل كويسة في بس التهاب في الجهاز العصبي وأنيميا.وأهلها سابو امبارح الورق دا بيقولوا إنه كشوفات قديمة.
ألقى نظره سريعة على الأوراق:
- طيب تعالى نروحلها.
خرجا إلى الردهة وسامر يتقدم المسيرة حتى وصلا للغرفة، طرقا الباب فلم يجب أحد ففتحت هيام الباب ودخلا.قال سامر بابتسامة:

-صباح الخير ...
إذا كنا نصنع فيلم عربي نناقش فيه قضية مريضة وطبيب سيكوت حتميًا أن تفتن المريضة بوسامة الدكتور وبياض أسنانه وهو يبتسم ويطير عقلها لرؤية البالطو الأبيض، لكن هنا لم يحدث ذلك.
ربما لوسامة سامر المعدومة أو لإصفرار أسنانه الذي لا مثيل له، يبدو أنه لم يستخدم معجون الأسنان منذ أن حصل على الشهادة الإعدادية،ومن المؤكد لن يطير عقلها بسبب البالطو الأبيض الذي يصغره بمقاسين على الأقل و يظهر عن كرشه المتدل أمامه.
لم تجيبه الفتاة،فسحبت له هيام كرسي ليجلس ...
سامر من الأطباء الممتازين في علاج الأمراض العصبية والنفسية المرتبطة بسبب عضوي. ولكنه أفشل من رأت عيني في علاج المرضى في مثل حالة هذه الفتاة ... فمجرد أن يرى أنها لا تمتلك مرض عضوي أو عقلي يصفها بأنها (بتدلع).
هو حقًا ماهر في علاج الأمراض الظاهرة أمامه أما ما تنطوي عليه النفس البشرية فمهاراته في علاجها نفس مهارة طالب كلية الحقوق في حل معادلات الكيمياء العضوية.
جلس سامر وبدأ في الحديث معها:
- أهلاً يا ست الكل.
لم يتلقى جواب فاستكمل.
- يا ستي نتيجة التحاليل بتاعتك كويسة الحمد لله ومفيهاش أي خلل. ف لحد دلوقتي أنا مش شايف أي حاجة تمنعك من الكلام
ظل صمتها هو سيد الموقف بالإضافة إلى بصرها الشاخص في أحد أركان الغرفة بنظره خالية من أي تعبير.
ظل سامر أكثر من ساعة يتحدث بكلامه الذي لم يلفت انتباهها،ظل يتحدث وهيام بجانبه تدون الحوار الذي كان فيه سامر هو المتحدث والمتلقى معا.
أما الفتاة فلم تنطق بكلمة. هي ليست من المرضى الذين يرفضون الحديث مع الأطباء. فبفضل الله حالتها لم تصل لهذا السوء، وحتى إن وصلت.. فهي دائمًا

تحب الحديث و وصف ما بداخلها ومناقشته و جاءت هنا وفي داخلها رغبه في الحديث ولكن أسلوب سامر أوقف الكلمات في حلقها، كانت تحتاج لقوة كبيرة تجعلها تتحدث وكان سامر كتلة من الإحباط لا يستهان بها فجعلها تشعر أن هذا الشخص لا يستحق أن تحرك أحبالها الصوتية من أجله.

بعد حديث سامر الطويل الذي يحتوي على كلمات من نوع: (شكلك بتدلعي)، (أنتي بتشوفي غلاوتك عندهم ولا إيه) شعر بالملل فوجه حديثه لهيام وأخبرها بأسماء بعض المهدئات ومواعيدها وهم بالانصراف. لكنه آثر أن يزيد من سخافته عندما رأى طعام الإفطار لم ينقص منه شيء فقال لها:

- أكلك زي ما هو ليه؟ لازم تاكلي وإلا هقول لماما تمنع عنك المصروف ها ها ها ...

وانصرف بعد أن أخرج آخر ما في جعبته من أسباب تجعلها تكره وجوده أمامها.

كم تمنت أن يسقط عليه حلق الباب أثناء مروره.

هل من بين كل أطباء العالم رزقتها المستشفى بهذا الكائن ليزيد بؤسها؟

إذا كنت مكانها ستشعر بنفس البؤس الذي يشعر به الكلب البلدي المشرد بعد قطع ذيله.

شعرت ببعض الراحة بعد خروج هذا البغيض من غرفتها فقررت أن تستحم في حمام غرفتها الخاص.

بدأ الماء الساخن بالانهمار على رأسها فبلل خصلات شعرها الأحمر وهي تجلس القرفصاء في -البانيو- كان سقوط الماء على شعرها الأحمر أشبه بسقوط المياه على نيران الحريق لمحاولة إخمادها.

لكن في حالتها هذه كانت النيران في قلبها لا فوق رأسها.

كانت المياه تؤلمها مثل ما يؤلمها الصوت المرتفع و الضوء وشمس النهار مثل ما تؤلمها الكلمات الرتيبة والأسئلة المحفوظة فبدأت في هوايتها المحببة وهي أن تحدث نفسها كأنها تكتب ما تقوله لكنها تتحدث بدون صوت وتكتب بدون قلم، أغمضت عيناها وهي تحدث نفسها:

-أقف على حافة هذا العالم الذي أنتمي إليه بجسدي فقط، أنظر إليه من

أعلى لأرى كل ما فيه صغيرًا وضئيلاً يندرج تحت مسمى العبث، كم احتقر أنا عالمكم!و كلما احتقرت فيه شيئًا وضعته تحت قدماي، فكلما تعمقت أكثر في عالمكم وجدت فيه ما يثير اشمئزازي، ظللت أضع تحت قدماي كل ما أراه فيكم فارتفعت عاليًا من كثر ما أقف عليه وبقدر ما ارتفعت عنه ترفعت عن كل ما فيه ...

وها أنا ذا ... أرى نفسي أقف عالية على حافة عالمكم وحافة عالمي أيضًا.

عالمكم الذي أكره انتماء جسدي له وعالمي الذي أنتمي إليه بروحي وأفكاري وكل ما بداخلي.

لم أقبل يومًا أن ينتقل شيئًا من عالمكم لداخلي، لذلك أكره استنشاق هواء عالمكم حتى لا يتغلغل في أعماقي ويؤثر في.

لا يتشابه العالمان قط، ولا يشتركان سوى في الحافة التي أقف عليها لأنتقل إلى دنياي بما فيها من أحلامي وخيالاتي من دنياكم بما تحتويه من سخافات الواقع.

فكلما ضاق صدري من هواء الواقع أقف على حافتي العالية وأخلع حذائي حتى لا أدنس أرض عالمي، ألقي بنفسي في عالمي وأستمر في السقوط الحر، ولكن حالما أفيق من سقوطي هذا يصطدم كل ما كنت أراه بصخور الواقع الصلبة ...

فلطالما كرهت دنياكم وكثيرًا ما لجئت لعالمي

لم يخرجها من شرودها هذا إلا تغير درجة حرارة المياه وهذا أكثر ما يزعجها، خرجت من الحمام وشعرها المبلل يغطي ظهرها، وقفت أمام مرآة خزانة الملابس تمشط شعرها وفي أثناء ذلك رأت آثار جروح مندمله في كف يدها اليسرى، جروح تعرف مصدرها جيدًا لكنها تصنعت أنها لا تتذكر.

ألقت نظرة على نفسها في المرآة، كانت بيضاء البشرة، لها عينان يحاوطهما السواد ولكنهم مازالوا متمسكين بجمالهم، ترتدي فستانًا قطنيًا أسود، يوجد به (فيونكا) رمادية فوق قلبها مباشرة ...

ذلك القلب الذي لو علم صانع هذا الفستان ما بداخله لوضع فوقه نبتة صبار وليس فيونكا.

كانت ترى نفسها وكأنها تراها من مكان بعيد جدًا، تأملت عيناها لدقائق لا

تعرف عددها ثم بكت ...
لا لم تبكي، كانت دموعها تسيل فقط بدون صوت فهي فقدت القدرة على البكاء بمعناه الصحيح منذ فترة.
عادت إلى سريرها فوجدت بجانبه طاولة طعام وحبوب دواء،أغمضت عيناها بعد أن تأكدت أن همومها زادت عبء سامر وعبء هذه الأقراص، لم تفكر أن تأخذ الدواء أو تناول الطعام وتكورت في سريرها وأحكمت الغطاء حولها و غطت في ثبات عميق...
اليوم الرابع:
مرت أربعة أيام لها في هذا المكان.
أربعة أيام لم تتناول فيها الدواء ولم يغصب عليها أحد أن تتناوله، ربما كان ذلك لعدم اهتمام هيام الممرضة أو لعدم خطورة حالتها وعدم احتياجها للدواءهي لا تعلم، ربما كان أيضًا هذا الدواء مجرد دواء لعلاج الحموضة وأعطاها إياه سامر لتشعر أنه فعل شيء من أجلها، لم تؤمن يومًا بفاعلية أقراص الدواء لعلاج الأمراض النفسية.
أمراض نفسية! هل أصبحت حقًا مريضة نفسيًا؟ وحتى إن كان ... من يهتم؟
أربعة أيام لم تتناول فيها من الطعام إلا القليل، والأهم من هذا كله أنهم أربعة أيام من الاستماع لحديث سامر الذي يعتبر من أسهل أساليب ارتفاع ضغط الدم.
أي ذنب اقترفته في حياتها ليعاقبها عليه القدر بسامر هذا ؟!
دخلت هيام الغرفة لتقيس لها الضغط قبل دخول سامر فقد أصبح هذا من طقوس اليوم، كانت هيام تفعل هذا بدون أي اهتمام فقد كان كل ما يشغل بالها هو الطعام الذي ستعده على الغداء، وأيضًا كان عملها يشكل لها ملل رهيب، فبالنسبة لها أحاديث الممرضات زميلاتها أهم بكثير من ما تفعله.
دخل سامر مرة أخرى، أو مرة رابعة،و دخوله يعني غياب الأوكسجين عن الغرفة كان يبدو عليه الضيق وظهر هذا في أسلوب حديثه معها ...
تحدث معها بحدة وعنف مخبرا اياها أنه -من

وجهة نظره- قام بكل ما يستطيع القيام به معها، قام بتعنيفها ولم يخلو حديثه من السخافات كالعادة وكان لذكرى الدواء الذي لا تأخذه نصيب في حديثه فوضع لها أقراص الدواء على الطاولة بجانبها ومعها كوب مياه كبير قائلاً لها بنبرة تهديد:

- الدواء أهو ... عاوزة تاخديه خوديه مش عاوزة براحتك أنا مش خسران حاجة على فكرة.

تنهدت الفتاة وبدى عليها السكون التام، هل تعرف الهدوء الذي يسبق العاصفة؟ كان هذا ما يحدث بالضبط، تذكرت المكان الذي ترقد فيه وأيقنت أنها مهما فعلت لن يلومها أحد.

استمر سامر في هوايته المفضلة وهي إزعاج الآخرين حتى طفح بها الكيل، بحركة عفوية سريعة أمسكت بالكوب بجانبها وألقت ما فيه من مياه في وجه سامر الذي توقفت الكلمات في حلقه ونظر لها والشر يتطاير من عيناه.

أصدرت هيام ضحكة مكتومة فرمقتها الفتاة بنظرة خالية من التعبير وتقلبت في سريرها وأعطت ظهرها لهم كإشارة منها أن إنصرفوا،سمعت صوت خطوات سامر الخارجه من الغرفة، كانت خطوته تكاد تخترق الأرض، شعرت لأول مرة بأن هذا المكان قد أفادها بشيء، على الأقل جعلها تشعر بقليل من الراحة بعد أن عاد الأوكسجين للغرفة.

في مكان بعيد ...

صوت أمواج البحر يخيم على المكان وأنوار البرق تشق السماء لحظات وتختفي لحظات، ويتبعها سقوط الأمطار، كأن صوت الأمواج لم يكن كافيًا فزاد عليه صوت البرق ليصنعا معًا سيمفونية رعب كامله...

يعزف البحر على المزمار فيرد عليه البرق بقرع الطبول، هذه الموسيقى التي لا تصلح إلا لفيلم رعب ،عندما يضئ البرق يمكنك بصعوبة أن ترى نقطة سوداء في عرض البحر.

إنها ليست نقطة...إنها فتاة!

تضرب المياه بكل ما لديها من قوة كمحاولة منها للصمود، كلما ظنت أنها

ستنجو جاءت موجة جعلتها تفقد الأمل في الحياة أو النجاة.
البرق يضئ فيرعبها ثم يختفي نوره فيزيدها الظلام رعبًا.
كانت حقًا تحارب بلا جدوى، لا ترى ما حولها إلا بمساعدة ضوء البرق، وأخيراً هدأ البحر قليلاً فظنت أنها ناجية.
ضرب البرق السماء فاستطاعت أن ترى جبلا من الظلام قادم تجاهها، اختفى البرق وأضاء ثانيةً فتأكدت من ما رأت، ألم رهيب يدق على جدران قلبها الصغيرحينما أدركت أنه ليس جبل، إنها موجة بحجم مائة جبل.
حاولت الابتعاد عنها لكن بلا جدوى فجبل الظلام يقترب والألم في قلبها يزيد، اقترب حتى صار أمامها فأغلقت عيناها وأدركت الهلاك. شعرت
بهزه في جسدها فبدأت في فتح عيناها، لكن ذات الألم في صدرها جعلها تشعر أنها مازالت هناك!
فتحت عيناها فأدركت أنها خرجت من الحلم بسلام، ذلك الحلم الذي تعرف هي معناه جيدًا ولا تحتاج لمفسر وأيضًا ذلك الألم الذي تعرف ماهيته جيدًا، فهو شريكها منذ بداية الطريق ويبدو أنه قرر أن لا يفارقها، فهو التهاب حاد في الغشاء البلوري المحيط بالقلب والرئة، إذا كنت طبيب أو حتى تمتلك معلومات عن الطب ستعلم أنه شيء في غاية التفاهة ولا يشكل خطورة...لا يشكل خطورة عضوية.
أما لمن يشعر به فهو في قمة الصعوبة وخاصَة إذا كنت تعرف سببه، الجدير بالذكر أنه يصاحب حالات الاكتئاب أو من يعانون من الضغط النفسي ومن يمتلكون علاقة ربط بين المرض النفسي والعضوي، فيعتبر هذا الألم -ناقوس يدق في عالم النسيان-، فهو يأتي دائمًا ليذكر صاحبه بأسباب وجوده.
اتكأت على الطاولة بجانبها وهي ترى الممرضة تنظف الغرفة. تثاقلت على قدماها لتقف لكن الأرض غاصت بها مرة أخرى ... هل عاد الحلم مجددًا! أم أنها لم تستيقظ من الأساس؟ ألم رهيب يعصف برأسها وعيناها وكل شيء يهتز من حولها و أصبحت الرؤية شبه معدومة ثم تهاوي كل شيء من حولها ... رأت شبح الممرضة يتقدم نحوها ثم اختفى كل شيء وعم الظلام.

إذا أراد رئيس دولة أن يخبر شعبه بشيء فلا داعي لإعلان رسمي، يكفي أن يتحدث عن الأمر أمام امرأة وبذلك سيجد كافة الشعب يعلم ما كان يريد أن يقوله في خلال ٦ ساعات، فالسيدات جهاز ممتاز له قدره علي رصد الأحداث ونقل للأخبار.

و بما أن هيام امرأة وكانت حاضرة مع الدكتور سامر في آخر مرة له في غرفة الفتاة، إذًا ف جميع من بالمصحة علموا بما حدث، بعضهم ضحك وبعضهم شمت وبعضهم لم يهتم لكثرة هذه الأفعال هنا.

انتشرت الأخبار حتى توصلت لـ -شادي- حتى شادي يعلم بما يحدث داخل غرف المرضى. -شادي- شاب على مشارف العشرين من عمره، نحيف الجسم قصير القامة أسمر البشرة، عيناه تفضح ما به من طيبة رغم وجود العدسات الطبية فوقهم، اشتهر في المصحة بخفة دمه ونشاطه الدائم وضحكته التي دائمًا تعتلي وجهه البشوش، شادي من طبقة تحت المتوسطة بمراحل، لم يستكمل تعليمه لسوء الأحوال المادية وحاجته للعمل فهو يعمل بشهادة الثانوية العامة لذلك لا تجد له عمل ثابت، فهو يعمل في كل شيء.

يستقبل الزائرين ويوصلهم لغرف المرضى، يساعد الممرضات وأحيانًا ما ينوب عنهم، يذهب لشراء ما يريده الأطباء من خارج المصحة، يمازح الممرضات ويعمل في كل شيء وأي شيء لكن بقى حلمه الوحيد أن يدخل غرف المرضى مثل الأطباء ويحاول علاجهم لكنه مازال حلم صعب المنال.

في اليوم الخامس الذي كان مخصص للحديث على ما فعلته المريضة في سامر كان شادي مكلف باستلام ما أراد أهل المرضى إرساله لهم.

سمع صوت رجالي يناديه:

- يا شادي خد الزيارة من الآنسة وصلها لغرفة (٩١٦).

أجاب شادي:

- أوامرك يا باشا.

تقدم شادي نحو الفتاة التي كانت لا ترتدي سوى اللون الإسود حتى حجابها ونظارتها الشمسية تم صبغهم باللون الأسود، لم يكسرها هذا السواد سوى

وجهها الأبيض.
أعطت لشادي حقيبة دون أن تنطق بكلمة ف أراد شادي أن يكسر الملل فقال لها بإبتسامة:
- معلش بقى لازم الشنطة تعدي عليا الأول عشان أفتشها ... مش يمكن فيها متفجرات ولا حاجة
لم تعطه أي تعبير سوى أنها هزت رأسها متفهمة وذهبت.
فقال شادي:
- دا إيه الفصلان دا !
أخذ شادي الشنطة على حجرة الأمانات ليرى ما فيها، وجد فيها بعض الملابس، جهاز تشغيل موسيقى وأوراق وأقلام وكتب، استأذن ممرض بأن يوصل الملابس وجهاز الموسيقى لغرفة (٩١٦) حيث الفتاة التي تتحدث عنها الممرضات هذا الصباح ولم يسمح أن يرسل لها الأقلام باعتبارها آلة حادة ولا بإرسال الكتب لعدم العلم بمحتواها.
في هذه الحالات يجب استشارة الطبيب المعالج عن الكتب ولكن لم يفضل شادي أن يفعل هذا الان بسبب توتر العلاقة بينها وبين سامر، فآثر أن يضعهم في صندوق الأمانات.
حمل الكتب بيداه وظل ينظر لهم ويتذكر عشقه القديم للكتب والروايات حتى وصل للخزانة، وضع بداخلها الأقلام وقام بعد الكتب فوجدهم خمسة، وفي أثناء ذلك لفت انتباهه كتاب له غلاف أحمر لا يوجد عليه عنوان أو اسم كاتب، لا يوجد عليه أي علامة، فأثار فضول شادي وحرك غرائزه القرائية وهم أن يفتحه فسقط من داخل الكتاب ورقة مطوية، زاد الفضول داخله وزاد الخوف أيضًا من أن يراه أحد،لكنه لم يقاوم وفتح الورقة ف وجد مكتوب بداخلها رساله مقتضبة:
[أنا خلصت]
وصل فضوله إلى ذورته، لكن قطع تأمله صوت يستدعيه من بعيد:
- شادي .. تعالى بسرعة .

اضطرب صوته وقال:
- أيوة أيوة جاي أهو.
أغلق الكتاب ووضع الكتب والورقة في الخزانة وأغلقها وكتب على بابها: (٩١٦) وانصرف إلى حيث الصوت
مهما تحضرت القاهرة أو نشأ فيها ما نشأ من المدن الجديدة التي تجذب من يبحث عن الرقي فستظل مصر الجديدة مقصد من يبحث عن الأصالة والرقي معًا.
شارع نخلة المطيعي، ميدان تريومف وهواء مصر الجديدة برائحته المميزة يعبئ المكان، تقف المباني بجانب بعضها البعض بارتفاعها القصير الذي يسمح بمرور الهواء إلى قلب الشارع و يعطي هذا المكان الطابع الهادئ، المباني تتراوح طوابقها بين أربعة أو خمسة طوابق، في كل طابق أبواب مغلقة على ما خلفها وخلف كل باب حكاية لا يعلم تفاصيلها سوى أبطالها.
أما بابنا هذا فيمكنك أن تسمع من خلفه صوت الضحكات التي اجتازت حاجز الباب، من يسمعها يميز بسهولة أنها صوت ضحكات أطفال، إذا اخترقنا حاجز الباب نرى الشقة الواسعة التي يطغى عليها الجانب الكلاسيكي الظاهر من الأثاث العريق، ليس قديم ولكنه يمتاز بالعراقة رغم حداثته، التحف متواجدة في كل مكان مما يدل على أن صاحب الشقة له ذوق رفيع أما ما يميز صالة المنزل ويضيف عليه جو من البهجة ما يوجد على الأرض من ألعاب تتمسك بها أصابع صغيرة ودقيقة، طفلتان لا يمتلكان من العمر سوى ٧ سنوات، بل هي طفلة واحدة تم نسخها مرتان، ليخرج لنا بسنت ومليكة ...
توأم لا يفرق بينهم سوى شكل الشعر، فبسنت لها شعر أسود مجعد غجري يشير إلى ما تمتلكه هذه الطفلة من خفة دم، أما مليكة فشعرها أسود مسترسل وناعم، بدون هذا الفرق لن تستطيع التفريق بينهما.
كانتا تلعبان وتضحكان، ترتديان نفس البيجاما التي تحمل رسومات كرتونية يحبها الأطفال في مثل عمريهما، كل منهما شعرها مقسوم لجانبين بالشكل الذي يطلق عليه الفتايات (قطتين).

لم يقطع صوت ضحكاتهم سوى ذلك الصوت المرتفع القادم من أبعد نقطة في الشقة، توقفت الفتاتان عن اللعب عندما سمعا هذا الصوتو لكن هدأ خوفهم حينما تأكدا أنه صوت آتي من حجرة والداهما.
استمر الصوت في الارتفاع بكلمات لم تميزها الصغيرتان ولكنهم يعلمون أنه صوت شجار قالت بسنت بضيق ظاهر:
- كدة مش هنعرف نكمل لعب
ثم قلبت شفتاها في حركة طفولية.فأجابت مليكة:
- لعب إيه دلوقتي دول بيتخانقوا.
- دلوقتي بابا هيسيب ماما وينزل.
مر بعض الوقت من الصوت المرتفع وإلقاء الاتهامات حتى سمع الصغيرتان صوت حركة تقترب.
وقفت الفتاتان خلف إحدى الستائر لتختبئان حتى تحققت نبؤة الصغيرة وخرج أبوهما من الغرفة يتطاير الغضب من عيناه، اتجه صوب باب الشقة وفتحه بعنف وترك مهمة إغلاقه للهواء، فقام بها الهواء على أكمل وجه ف أغلق الباب بقوة كادت أن تخلع الحائط من مكانه.
نظرت مليكة لبسنت وهمست:
- أنتي عرفتي منين؟
- عرفت إيه؟
- بابا خرج زي ما قولتي.
ردت بسنت بأسلوب خبير استراتيجي في حوار تليفزيوني للتحدث عن أحوال البلاد:
- ماما وبابا بيتخانقوا كل شوية وبعدين بابا ينزل وماما تعيط مش بيحصل حاجة جديدة.
نظرت لها مليكة بانبهار فقاطعتها بسنت:
- تعالي ندخل لمالما.
خرجتا من خلف الستائر وتنقلتا داخل ردهات الشقة الطويلة حتى وصلا

للغرفة المقصودة، داخل الغرفة تجلس فريدة ... سيدة على مشارف الأربعين لكنها تبدو أصغر من عمرها، تمتلك ذات الشعر الغجري الذي أورثته لبسنت، تمتلك قدرًا لا بأس به من الجمال وقدرًا آخر من الغرور، فهي السيدة -فريدة الحشاش- سليلة علية القوم..عائله الحشاش الذين يرجع نسبهم إلى الخديوي مما رفع مستواهم الاجتماعي ورفع أيضًا نسبة ال أنا الأعلى بداخلهم، لكن فريدة كانت طيبة القلب وحنونة.

دخلت الفتاتان فوجداها تبكي، خبأت أعينها بسرعة ومسحت آثار البكاء حتى لا يلحظونها. لكنها لا تعلم أنها أنجبت جهازين من أجهزة المخابرات، صعدت الطفلتان على السرير بجانبها و ربتت بسنت على كتفها وقالت لها مليكة:

- متزعليش ...

احتضنت فريدة الطفلتان وابتسمت فرغم كل شيء لديها زهرتان في طريقهما للتفتح ....

على الجانب الآخر من الكوكب ...

أو على الجانب الآخر من مصر ...

أشرفت الأرض بنور ربها، والجمال يطوف في أرجاء المكان ... جمال طبيعي لا يشوبه عائق.

إنه جمال الأقصر.

ألم أقل أنه على الجانب الآخر من مصر! فإن بداية الحكاية تكمن في نهاية مصر.

في فندق فخم في مدينة الأقصر الساحرة وقفت سيدة أمام المرآة، أقل ما يقال عنها أنها آية في الجمال، لها قوام ممتلئ قليلاً لكنه زادها جاذبية، لها عينان جميلتان تم صبغهما باللون الأزرق، بشرتها بيضاء لدرجة أنك تستطيع أن ترى عروق يداها من خلال بشرتها الشفافة، تمتلك من العمر ٢٨ عام، تقف أمام المرآة تداعب خصلات شعرها بشرود.

قطع شرودها صوت باب الغرفة وهو يفتح ويدخل من خلفه علاء، زوجها أو بصيغة أخرى: علاء هو كل ما تمتلكه في الحياة، فهي وحيدة لا أشقاء لها،هي أيضًا من عائلة صغيرة جدًا، لم يكن لها أي أقارب فانحصرت حياتها مع والدها

ووالدتها حتى شاء القدر وأرسل لها هذا النور، -علاء- مهندس من عائلة كبيرة، يمتلك كل الصفات التي تتمناها أي فتاة بالإضافة إلى أن علاء كان يحبها بشدة ولم يكن لديه أحلام سوى أن تقبل به زوجًا لها.
تقدم علاء لخطبتها فوافقت دون تفكير فمن التي ترفض- علاء النقراشي-.
لم تستغرق فترة الخطوبة وقتًا طويلاً حتى تزوجا، أقام لها علاء فرحًا لم تكن تتخيله مهما ذهبت بخيالها، فهي من طبقة متوسطة وهذا الحفل يليق ببنات الملوك. منذ زواجهما وعلاء يفعل كل ما بوسعه كي يحقق أحلام زوجته ولكنه لم يكن يعلم أنه كان حلمها الوحيد ولا أمنيه لها سواه.
لم يمر شهور على زواجهما حتى أرسلت لهم السماء أسعد خبر يمكن لزوجان أن يسمعاه، لم تكن سعادة علاء توصف عندما علم أن أسرته الصغيرة سوف تزداد فردًا آخرا، استقبل كل منهما الخبر بسعادة بالغة ووعد كل منهما الآخر أن يحافظا على تلك السعادة لآخر حياتهما.
مرت السنوات على أِسرتهم الهادئة بسلام، لا تزيدهم الأيام إلا حبًا وتفاهمًا حتى جاء يوم ذكرى زواجهم الثامن. كانت من عادات علاء أن يأخذ أسرته في رحلة في هذا الموعد من العام كهدية لزوجته الجميلة.
في هذه السنة اختار علاء الأقصر لتكون مقصد رحلتهم، سافروا إلى الأقصر في رحلة مدتها أسبوع وكان هدف علاء أن يجعل هذا الأسبوع أجمل أسبوع مر عليهم في هذه السنة.
دخل علاء من باب غرفتهم في الفندق فوجد زوجته التي نظرت له بنظرة معاتبة:
- أنت مش قلتلي مش هتأخر؟ كنت فين كل دة؟
أجابها علاء بابتسامة:
- كنت بجيب حاجة كدة.
أجابت بعدم فهم:
- حاجة إيه دي؟ وهي فين؟
- هقولك بس غمضي عينيكي الأول.

أغمضت عيناها فأخرج علاء من جيبه علبة قطيفة حمراء وفتحها و وضعها أمام زوجته قائلاً:
- كل سنة وأنتي طيبة يا نهى.
فتحت نهى عيناها فوجدت العلبة أمامها، اندهشت وبدت عليها الفرحة ثم نظرت لعلاء معاتبة:
- ليه بس كدة إنت جايبلي حاجات كتير ليه كلفت نفسك.
- كلفت نفسي! مفيش حاجة أغلى منك، كل سنة واحنا سوا.
فرحت نهى كثيرًا، فرحت باهتمامه بها أكثر من فرحتها بالهدية، فهي لم يبقى لها إلا هو بعد وفاة والديها.
قالت نهى بفرحة:
- بجد مش عارفة أقولك إيه.
- متقوليش حاجة وبطلي هبل، شوفي الهدية بقى.
أخرجت نهى ما في العلبة فوجدتها سلسلة فضية اللون بها نجمة من الماس الشفاف تلمع في الضوء.
انبهرت نهى من ما رأت فقالت له:
- دي أحلى هدية جاتلي في حياتي. بجد تحفة.
فأجابها علاء:
- أنا السنادي جبتلك نجمة من السما.
- ومجبتليش حاجة من السما أنا كمان يا بابا؟
قطع حديثهما ذلك الصوت الطفولي فنظر كل من علاء ونهى لمصدر الصوت فوجدوها طفلتهم الصغيرة تقف بالقرب منهم ويظهر عليها آثار النوم.
قالت نهى بضحك:
- أنتي صحيتي إمتى يا سوسه؟
ركضت الطفلة لوالدها وقالت:
- من أول ما بابا طلع السما.
حمل علاء طفلته الصغيرة التي تبلغ من العمر ٧ سنوات، ورثت من والدتها

جمالها ومن والدها عيناه البنيتان.
قالت الطفلة:
- يعني إيه يا بابا نجمة من السما؟ جبتها إزاي؟
- أنا مطلعتش السما ولا حاجة يا حبيبتي.
- أومال إيه؟
- مامتك دي أجمل ست في الدنيا.وماما عمرها ما هتفرح بهدية زي ما فرحت بالهدية اللي أنا جبتهالها عشان مفيش حد بيحبها في الدنيا زيي، وعشان هي عارفة إن محدش هيحبها زي فرحت بالهدايا كأنها نجمة من السما.
حاولت الطفلة أن تستوعب ما قاله لها والدها وقالت له:
- يعني إحنا لما يجيلنا هدية بنحبها من حد بنحبه نفرح بيها كأنها جاية من السما؟
- صح يا حبيبتي.
قالت نهى:
- يعني أنتي لما اتولدتي أنا فرحت بيكي زي ما تكوني نجمة من السما.
ضحكت الطفلة:
- هههه يعني أنا زي السلسلة.
قبلها علاء وقال لها:
- لأ ... أنتي أحلى هدية من ربنا. وطول ما النجوم لسة حلوة وبتلمع اتأكدي إن احنا بنحبك قالها علاء وأعطى لابنته السلسلة ف وضعت الطفلة السلسلة حول عنق والدتها وقبلتها.
رن هاتف علاء فخرج ليرد على المكالمة في الشرفة. جلست نهى على السرير بجانب الطفلة التي ظهر عليها الشرود فسألتها نهى:
- مالك يا فاطمة؟
قالت فاطمة:
- أنا حلمت حلم غريب أوي
- حلم إيه؟ إحكيلي

- حلمت إني كنت في جنينة وجالي حد أنا مش عرفاه وقالي افتحي بقك يا فاطمة

صمتت الفتاة فعقبت نهى:

- وبعدين يا حبيبتي

- فتحت بقي والراجل دة أخد سنتين من سناني ورماهم في الأرض ومشي وبعدين أنا صحيت. معناه إيه دا يا ماما؟

توترت نهى فهي تعلم مدى صدق أحلام طفلتها لكنها أخفت قلقها وطمأنتها قائلة:

- خير إن شاء الله يا حبيبتي، متاكليش أنت بس حلويات كتير عشان سنانك متقعش.

ومتنسيش تصلي قبل ما تنامي.

فتح علاء باب الشرفة ودخل الغرفة وعيناه يشوبهما القلق، وجهه شاحب لا لون فيه كأن أحدهم سحب الدماء من جسده.

قالت له نهى بقلق:

- في إيه يا علاء؟ أنت كنت بتكلم مين؟

شعر علاء أن قدمه غير قادرة على حمله فجلس على الأريكة المقابلة للسرير قائلاً:

- دا علي أخويا

قالت نهى بقلق:

- ماله؟

- بيقولي إن ماما تعبت أوي الصبح والجيران نقلوها المستشفى وهو رايح لها دلوقتي

انتفضت نهى:

- طنط سناء! ألف سلامة عليها بسيطة إن شاء الله

- علي بيقولي إنها تعبانة جدًا وحالتها خطر

شعرت نهى بنبرة البكاء في صوت زوجها الذي يخشى من اقتراب أجل أمه.

-سريعًا ومن دون تفكير قررت أن تضحي بالرحلة ،فهي تعلم كم يحب علاء والدته فقالت له:
- متخافش إن شاء الله خير، يلا عشان نسافر لها.
انتبه علاء:
- نسافر!
- أه طبعًا لازم نسافر نطمن عليها.
- مش هتبقي زعلانة!
- زعلانة إزاي بس ... أنا هبقى زعلانة لو أنت مطمنتش على مامتك.
كفاية أوي كل اللي انت بتعمله عشاني، عاوزني بعد كل دا مبقاش جنبك في وقت الشدة!
نظر لها علاء نظرة رضا وفي داخله يقين بأنه أحسن الاختيار.
- يلا كفاية تفكير. انزل إنت الغي حجز الفندق وأنا هحضر الشنط.
- ربنا يباركلنا فيكي
قالها ببسمة حزينة وغادر الغرفة سريعا محاولا أختراق الحواجز الزمنيه ليصل لوالدته في أسرع وقت
نظرت فاطمة لوالدتها قائلة:
- ليه منستناش لما الأجازة تخلص وبعدين نروح لتيتا؟
قالت نهى بنظر ثابت على نقطة في ركن الحائط:
- القدر مبيستناش حد يا فاطمة
لم يستوعب عقل الطفلة الصغيرة ما قالته والدتها،فإدراكها لم يكتمل بعد.
- يعني إيه؟
- يعني في حاجات مينفعش تتأجل، لما ييجي المعاد اللي ربنا كاتبهلها بتحصل ومفيش قوة فيي الدنيا تقدر توقفها.
- ويعني إيه قدر؟
- قدر يعني حاجة ربنا كاتبها من قبل ما يخلقنا، فلما ييجي معاد القدر هتلاقي كل الظروف بتوصلك لـ اللي ربنا عاوزه.

عشان كدة بقولك قدر ربنا مبيستناش يا فاطمة
هزت الطفلة رأسها محاولة استيعاب هذا الكلام الذي يفوق قدرات عقلها بسنوات.فقطعت نهي تفكيرها قائله:
- طبعًا انتي مش فاهمة كويس بس مع الوقت هتفهمي قصدي.
حتى وإن كانت فاطمة لا تفهم كلمات والدتها فهي على يقين بأن كل ما تقوله أمها صواب ف ثقتها في والدتها لا تنتهي.
مع غروب الشمس كانت نهى قد انتهت من تحضير الحقائب ووضعها علاء في السيارة. السيارة التي لا يستغنى عنها علاء أبدًا فهو يكره المواصلات العامة،وفي الواقع هو لم يجربها من قبل، طوال حياته يمتلك سيارة خاصة وسائق ثم استغنى عن السائق في ذات اليوم الذي حصل فيه على رخصة القيادة.
بدأ علاء في القيادة وهو يتمنى من كل قلبه أن يمنحه القدر بعض الوقت ليرى والدته.
الساعة الحادية عشر مساءً
الهدوء والسكون يغلفان المكان، لا يخترق هذا السكوت سوى سيارة تسير على أقصى سرعتها.
ذات السيارة التي كانت تسرع في طريق ذهابها هي التي تسرع في طريق عودتها...
في الذهاب كانت تتعجل لتلحق بالسعادة، أما في العودة فهي تسابق الزمن وتحاول أن توقف القدر، في الذهاب كانت صوت الضحكات ترتفع لعنان السماء أما في العودة فلا يوجد إلا الصمت، ما أغرب هذه الحياة! وما أكبر الفارق بين الذهاب والعودة!
تنطلق السيارة تشق الظلام وعلاء يحاول السيطرة على أعصابه التي على وشك الاحتراق ونهى بجانبه تحاول أن تجعله يهدأ قليلاً.
أما في الخلف تنام فاطمة على الأريكة في عالم آخر، زاد علاء من سرعته فزاد توتر نهى، حاولت أن تجعله يهدئ من سرعته قليلاً لكنه لم يستجب لها، فكلما زاد الخوف في قلبه زاد من سرعة السيارة.

أصبح علاء لا يستطيع أن يتحكم في أعصابه، وفقد التحكم في عجلة القيادة أيضًا!
السيارة تذهب يمينًا ويسارًا.
علاء يحاول أن يسيطر على السيارة ونهى تصرخ.
استيقظت فاطمة على صوت الصراخ لكنها لم تفهم أي شيء، كان على الجانب الأيمن للطريق منحدر إرتفاعه حوالي ٣ متر، وعلى اليسار كانت هناك جبال شاهقة الطول. اقتربت السيارة من الجبال حد الإصطدام،إزداد صراخ نهى و تعلقت جملة واحدة على لسانها:
- خليكي ورا يا فاطمة.
لكن على آخر لحظة أدار علاء عجلة القيادة فابتعدوا عن الجبل لكنه من شدة الظلام لم ير المنحدر.
هوت السيارة من فوق المنحدر وبدون تفكير قفزت نهى فوق فاطمة كي تحميها، ارتفع صوت الصراغ وعلاه صوت اصطدام السيارة بالصخور وبعدها.. .صمت كل شيء!
فتحت فاطمة عيناها بصعوبة بالغة فلم ترى أي شيء لكنها ميزت صوت أنفاس والدتها بالقرب منها فإطمأنت قليلاً، حاولت نهى أن تصارع آلامها فاستجمعت قواها وقالت بصوت كاد أن يختفي:
فاطمة أنت كويسة؟
قالت فاطمة وصوتها يملؤه البكاء:
- أنا خايفة يا ماما هو احنا هنموت؟
- لا يا حبيبتي مش هتموتي.
سقطت الدماء من جراح نهى على وجه فاطمة فقالت:
- إيه دا يا ماما، يا بابا الحق ماما
لم يجيبها علاء فقالت لها نهى:
- اخرجي من هنا يا قاطمة
- لا يا ماما أنا مش هسيبك، هستناكي ونخرج مع بعض

قالت نهى وصوتها يملأه الألم:
- فاطمة اخرجي بسرعة القدر لما بييجي مبيستناش
بكت فاطمة:
- متسيبينيش يا ماما أنا خايفة، عشان خاطري خليكي معايا
تحاملت نهى على نفسها وخلعت السلسلة وألبستها لابنتها وقالت:
- طول ما لسة نجوم السما حلوه و بتلمع يبقى أحنا بنحبك و دايمًا معاكي.
صمتت وصمت بعدها كل شيء.
هزت فاطمة والدتها:
يا ماما ... متسيبنيش يا ماما أنا خايفة ...
اختلط صوتها بالبكاء وظلت تنادي والدتها على أمل أن ترد عليها، أصبحت لا تستطيع أن تفتح عيناها من كمية الدموع والدماء التي على وجهها، تكورت في حضن والدتها وقالت بصوتها الضعيف:
- أنا مش هخرج يا ماما ومش هسيبك.
هدأت وهدأ من حولها كل شيء، نامت في حضن والدتها بعد أن اختلطت دموعها بدماء والدتها، نامت في حضن والدتها لآخر مرة،انطفأ نور عيناها بالظلام وانطفأ نور قلبها بالدموع لكن اشتعل ألم جديد لم تلحظه الطفلة من هول الموقف!
على كل حال انتهى كل شيء.
فكانت البداية تغلفها السعادة وهنا....النهاية يغلفها لألم.

-على ذات الطريق كانت البداية والنهاية وما بينهما بقى مجهول-

اخترق الضوء الظلام و بددت الحركه وحشة السكون... شعرت بسخونة الضوء على جفنيها فحاولت أن تفتح عيناها لكنها شعرت بوخز في جفنيها فأغلقتهم سريعًا، حاولت أن تفتحهم مرة أخرى ببطئ وبعد لحظات من الرؤية غير الواضحة استطاعت أن تميز ملامح الغرفة التي اعتادت رؤيتها في كل صباح ... لحظات ودخلت من باب الغرفة سيدة لم ترها الفتاة من قبل.

- حمد الله على السلامة

قالتها لسيدة بابتسامة صافية.نظرت لها الفتاة بعدم فهم ونظرت ليدها فوجدت يدها اليسرى متصلة بأنبوب معلق في آخره محلول مغذي، فنظرت للسيدة بعقل مشوش و استيعاب لم يكتمل بعد.

فقالت لها السيدة:

- متقلقيش مفيش حاجة، كان طبيعي إنك تدخلي في إغماء عشان فضلتي أيام مش بتاكلي، قلة الأكل نزلت الضغط أوي وعملت شوية مشاكل صغيرة مش هدوشك بيها، بس الحمد لله عالجناها في اليومين اللي فاتوا.

نظرت لها الفتاة بدهشة فأكملت السيدة:

- هما كانوا يومية صعبين بس أنا شايفاكي الحمد لله أحسن دلوقتي ... ثواني والدكتور هييجي عشان يطمن عليكي.

خرجت السيدة من الغرفة وتركتها بين ألف سؤال يدور في رأسها:

- دكتور مين؟

- ومين دي؟

- وفين هيام؟

ظلت بين تساؤلاتها التي لم تتعدى حواجز رأسها إلى أن فتح باب الغرفة مرة أخرى ودخل من خلفه رجل فارع الطول، تميل بشرته للسمار الجذاب وملامحه هادئة، وهنا إذا أردنا أن نطبق نظرية الأفلام العربية الخاصة بالمريضة والطبيب

من الممكن أن تنجح!
دخل وعلى وجهه ابتسامة هادئة وقال:
- حمد الله على سلامتك،مبدأيًا كدا أنا بعتذرلك.
نظرت له بعدم فهم فأكمل:
- قصدي بعتذرلك على سامر، سامر دكتور كويس بس أسلوبه تقيل وأنا لما عرفت اللي حصل طلبت منه أني أكون المسئول عن حالتك.
أعرفك بنفسي أنا باسم واللي كانت هنا دي سما المساعدة بتاعتي.
نظرت له نظرة خالية من التعبير فأكمل حديثه:
- مش ناوية تردي عليا بقى؟طب بصي...
ظهر على صوته نبرة تدل على أن الحديث القادم سيكون على محمل الجد:
- عشان تكوني عارفة إنتي كويسة وحالتك مش صعبة خالص بس أنتي اللي ف إيديك تساعديني وأنا مش طالب منك غير إنك تتكلمي وتسيبي الباقي عليا ويا ستي لو لقيتيني مش متجاوب معاكي ابقي اسكتي تاني.
نظرت له و الحزن يملأ عيناها فأكمل:
- أنا هنا بس عشان أساعدك وأسمعك ومتأكد إن سكوتك د اوراه حكايات كتير وأنا بصراحة بحب أسمع أوي.
إنتظر قليلا ثم أردف:
-أنا هسيبك مع نفسك النهاردة وبكرة إن شاء الله هعدي عليكي.
وضع أقراص من الدواء بجانبها وقال:
- الدوا دا هيساعدك تنامي وهيريح أعصابك عشان تعرفي تتكلمي، لو قررتي تساعدي نفسك خدي الدوا.
هم بأن يخرج من الغرفة لكنه توقف عند الباب ونظر لها وقال:
- على فكرة القشاية مش بتنقذ الغريق اللي بيتعلق بيها غير لو كان هو نفسه عاوز النجاة.
قالها وخرج!
أخرجت زفيرًا طويلاً ... وظلت تحدث نفسها وتفكر، كم تحتاج للحديث!

طوال حياتها تعشق الحديث عن ما بداخلها لكن عندما يتألم الإنسان أكثر من قدرته على الاحتمال يقيم حول نفسه الحصون وداخل الحصون يشيد قلعة لها تسعون باب،يضع نفسه بداخلها حتى يبتعد ويحمي نفسه من الذئاب التي تنبح حول أسوار قلعته

وهي قررت أن لا تخرج من قلعتها ولكن هذا -الباسم- جعلها تشتاق لأن تفتح نافذة قلعتها بأسلوبه الهادئ وحرك اشتياقها لوجود أحد بجانبها، تحركت من فوق سريرها بعد أن بقيت فيه أكثر من يومان واتجهت إلى مرآة خزانة الملابس جلست على الأرض أمامها.

دائمًا ما تمتلك المرآة تلك العادة السيئة وهي أن تظهر كل ما يحاول الإنسان أن يخفيه، تظهر الجانب السئ في شخصيتك، تذكرك بأشياء كنت تحاول نسيانها.

وإذا دققت أكثر ستسمع صوت شخص آخر بداخلك!

المرآة تجعلك ترى صورة لنفسك أمامك كأنها شخص آخر ليسهل بينكم الحديث.

ظلت تنظر لعيناها في المرآة بتركيز لتقرأ ما بداخلهما حتى بدأت الحديث مع نفسها بدون صوت كعادتها:

- أنا تعبت من الوحدة

قالتها في نفسها وفكرت قليلاً حتى جائها صوت آخر من داخلها:

- بس كدا أحست بكتير

جاء ردها مرة أخرى من داخلها كأنه حديث بين شخصين:

- بس أنا برده لوحدي

- أنتي أصلاً جيتي هنا عشان تبعدي

- بس يمكن هو عنده حق أنا مش هخسر حاجة

- إيه! بكلمتين نسيتي إنتي هنا ليه! نسيتي إنهم برا عايشين في غابة وهما اللي بيحطوا قوانينها! نسيتي إنك هنا عشام مقدرتيش تستحملي برة أكتر من كدة!

- لأ منستش ولا حاجة بس ...

- لأ شكلك نسيتي ... كل اللي برة وحتى باسم دة مهما كانوا عاملين نفسهم أقويا بس من جواهم نفسهم يبعدوا زيي ... كلهم كدابين وقرفانين من دنيتهم

ومخبيين ... حتى مش قادرين يصارحوا نفسهم إنهم كلهم بلا استثناء محتاجين يبعدوا ...
- طالما كلهم جواهم جزء نفسه يعمل زيي يبقى ممكن هو يفهمني ...
- يمكن ... بس أنا خايفة
نظرت لصورتها في المرآة بابتسامة منكسرة وقامت من مكانها واتجهت لسريرها مستمعه لصوتها الداخلي يقول:
-و إيه الجديد!الخوف عايش جوايا
جلست فوق سريرها و وضعت حبوب الدواء في يدها المرتعشة وظلت تنظر له بشك.
تكررت على مسامعها الجملة التي قالها باسم:
- القشاية مش بتنقذ الغريق اللي بيتعلق بيها إلا لو كان هو نفسه عاوز النجاة-
وضعت أقراص الدواء في فمها على أمل أن يكون هذا ما سيفتح نافذة في القلعة عالية الأبراج.
حتى وإن كان مجرد دواء للحموضة كما تظن فهو لن يضرها على كل حال.
وبقيت على سريرها تحاول أن تفهم كيف تنقذ القشة الغريق!
جميعنا أصحاء حتي نكتشف مرضنا الذي خلق معنا منذ البدايه.جميعنا متعبين حتي نكتشف أن الأنتحار هو انسب وسيله للعيش بأمان...

- وقد يأتيك الفرج على هيئة صديق يفهم من سكوتك معاني كلماتك -

هل جربت يومًا الإحساس وعكسه في ذات الوقت!
هل جربت أن تمتلك بداخلك القوة ونقيضها!
تتمنى أن يمر الوقت لتصل لغايتك أو لتعلم ما سيحدث مستقبلا، وتحاول أن توقف عقارب الساعة لرعبك من عواقب الأمور.
هكذا قضت الفتاة ليلتها في غرفتها، أو بمعنى أصح ليلة أخرى في قلعتها داخل حصونها المشيدة.
ما أصعب أن تشعر بالتناقض في مشاعرك، الإقدام والتراجع، الشجاعة والخوف، تريد و لا تريد، وما أصعب الاختيار بينهما حيث تكون أنت الخيط الضعيف الذي يفصل بين قوتان كل منهما تريد أن تقضي على الأخرى لتصبح ذات السيادة، لكن إلى متى سيتحمل الخيط؟ ومتى سينقطع؟!
بقيت بين جدران تلك الحيرة حتى قرر باسم أن يريحها بدخوله لغرفتها مع مساعدته.
- صباح الخير، أخبارنا إيه النهاردة؟
لم يتلقى إجابة فأكمل:
- أنا عارف إنك من امبارح بتحاربي نفسك،بس في أي حرب بيكون البقاء للأقوى وأنا واثق إنك إنتي الأقوى.
نظرت له والخوف يملأ عيناها
- إنتي اخدتي الدوا ودا أكبر دليل إن جواكي حاجة كبيرة قابلة العلاج، متقتليش الحاجة دي عشان متموتيش من الندم بعد موتها!
كان من الواضح عليها أنها تخوض حربًا عنيفة مع نفسها، حربًا هي فيها المهاجم والمدافع، ما أصعب أن تحاول اختراق القيود التي وضعتها أنت لنفسك.
أدرك باسم الثورة التي بداخلها فحاول أن يحفز قواتها الداخلية وقال:
- على العموم أنا مش بزهق ولو قررتي تفضلي ساكتة ألف سنة هفضل أسمع

صوت سكاتك لحد ما تتغلبي على ضعفك وتجاوبي عليا وتقوليلي إسمك إيه ...
ظل صامتًا فترة طويلة فجعلها تشعر أنه حقًا لن يمل، شعرت أنه يحترم سكوتها وكان ذلك خير دليل على أنه سيفهم ما ستقوله إن قالت ... وسيقدر ما ستكتمه إذ قررت الصمت ...
فقد يأتيك الفرج على هيئة صديق يفهم من سكوتك معاني كلماتك.
جاهدت نفسها كثيرًا لتحرك أحبالها الصوتية التي تراكمت عليها التربة من طول سكونها، سالت دمعة من عيناها الثابتة على الحائط أمامها وأخذت في طريقها للسقوط الأتربة المتراكمة على أحبالها الصوتية:
- دنيا ...
ربما يكون التحدث لساعات أسهل بكثير من أن تنطق بكلمة واحدة .. تخرج من أعماق روحك.

- حياتنا لا تسير على وتيرة واحدة فمخطئ من يأمن مكر الأيام -

مرت الأيام رتيبه على البيت الذي يفقد جزء من هدوءه كل ليلة.
منذ أن تزوجت فريدة الحشاش ب -أنور- وحياتهم عبارة عن نوبات من الشدة والليلن لكن مؤخرًا أصبحت شدة فقط،ف الوضع يزداد سوءًا في كل ليلة.
وكعادة أي صراع سياسي بين حكومة ورئيس يقوم كل منهما بما يتناسب مع مصالحه ومن يدفع ثمن خلافاتهم هو الشعب فقط، يمكننا أن نطبق هذه النظرية داخل جدران هذا المنزل أيضًا، فالصراع قائم بين -فريدة- و -أنور- ومن يدفع الثمن هما الزهرتان اللتان لم تتفتحا بعد.
توقف سائق حافلة المدرسة أمام المبنى العريق لتنزل منه الطفلتان التان بدت عليهما السعادة، صعدتا السلم سريعًا حتى وصلتا لباب شقتهما، وبدأت بسنت في الطرق على الباب بقوه بيداها الصغيرتان. فتحت أمهما الباب:
- هو كل يوم ولا إيه
قالتها بصحكة فأجابت بسنت:
- أنا بحب أطبل على باب
- طب يالا ادخلو وسلمو على طنط منار
دخلت كل منهما ليلقيا التحية على جارتهم.
- أهلاً أهلاً ازيكو يا بنات
قالت مليكة:
- الحمد لله كويسين
- كدة برضه مش بتيجوا تلعبوا مع سيف ليه ؟
أجابتها بسنت :
- وهو ميجيش يلعب معانا ليه؟
نظرت لها أمها بغضب:
- بنت! اتكلمي كويس
- أسفة
قاطعتها منار:
- ولا يهمك ... لما يرجع من المدرسة هييجي يلعب معاكوا.

نظرت فريده للطفلتان و قالت:
- يلا ادخلو وسيبوني أتكلم مع طنط.
دخلت بسنت لغرفتها لكن مليكة توقفت علي باب غرفتها و تذكرت أن تقول لوالدتها أنها حصلت على الدرجة النهائية في الامتحان فعادت لتخبرها ولكن في طريقها سمعت صوت بكاء والدتها فتوقفت لتسمع ماذا تقول:
- خلاص يا منار مبقتش قادرة أستحمل
- إيه اللي حصل تاني بس؟
- يا منار أنا نزلت من مستوايا كتير عشان أتجوزه وهو عارف كدا كويس، مستحملة معاه عصبية ومعاملة زي الزفت عشان البنات، بس خلاص أنا تعبت.
- يا فريدة لازم تستحملي عشان بناتك
- بناتي! أنا أخاف إن بناتي يتربوا معاه.
سمعت الطفلة كل الحديث وسمعت من والدتها تفاصيل الخلافات التي لم تفهمها يوما فزادها هذا كرهًا لوالدها.
لم تكن فريدة ملاك لكن أنور كان شيطان!
لا يتحمل المسئولية ،قاسي الطبع، لم يحنو يومًا على أطفاله ،و كانت عصبيته لا حدود لها، أما فريدة فكانت ترى أن خطأها الوحيد هو الارتباط برجل من مستوى اجتماعي و فكري أقل منها، كان هذا الفرق هو نقطة الخلاف، فهي لا تريد التخلي عن مستواها، أما هو فكان لا يريد أن يشعر أنها أعلى منه فكان دائمًا يتعمد أن يكسرها ويقلل من شأنها.
وفي كل خلاف بينهم كان هو لا يسيطر على عصبيته وهي لا تمنع غرورها.
ومن القواعد المتبعة أن سالب أمام سالب لا يتجاذبان! فكانت حياتهما تنافر فقط.
مرت الأيام و كل يوم يتحول الحال من سئ لأسوأ، في كل العائلات المضطربة مثل هذه العائلة يكتسب الأبناء قدرًا لا بأس به من العنف والضعف، وبما أن هذه العائلة لها طفلتان فحصلت بسنت على العنف وحصلت مليكة على الضعف!

في يوم جاء سيف ابن جارتهم منار ليلعب مع بسنت ومليكة في المنزل بعد عودتهما من المدرسة ولكن القدر أراد أن يزيد حزن الطفلتان، ارتفع صوت من الغرفة المشيءومة مصدر كل الأصوات السيئة.صوت يعرفانه جيدًا ولكن هذه المرة كان مختلف عن سابق عهده، كان الصوت أعلى، صوت بكاء، صراخ، اتهامات، كلمات غير مفهومة! فتح أنور باب الغرفة فأصبح الصوت أكثر وضوحًا، فتحرك الثلاثة أطفال صوب الباب ليشاهدوا ما الذي يحدث:

- أنا حر! أنا الراجل وأعمل اللي أنا عايزه

- راجل! هي دي حركات رجالة!

أنا اللي غلطانة أني اتجوزت واحد بيئة زيك، إنت عمرك ما كنت راجل.

رفع أنور يده في الهواء وأسقطها على وجه فريدة فأسقطها أرضًا، لف خصلات شعرها حول يده وأخذ يجذبه:

- أنا مش راجل! وريني بقى تناكتك دي هتعملك إيه.

لم تتمالك مليكة نفسها وهي ترى أمها تتألم وتصرخ فركضت الطفلة لأمها وقالت:

- حرام عليك سيبها

- أنتي مالك يا بت اخرجي برة ولا نفسك تضربي زيها؟

نظرت له الطفلة والدموع تسيل من عيناها:

- اضربني أنا وسيبها

- هضربك ومش هسيبها

بدأ أنور في ضرب الطفلة بيده ويده الأخرى لم تترك خصلات فريدة، أما بسنت فلم تحرك ساكنًاً .ف مؤخرًا قرب أنور -بسنت- منه كثيرًا حتى يضغط بها على أمها بعد أن أصبحت عنيفه و قاسية الطباع.

- مبسوطة كدا! مبسوطة يا بنت أمك

صرخت الطفلة من بين آلامها:

- أنا بكرهك

أستمدت فريده الشجاعه من طفلتها وقالت من بين دموعها:

- كفاية بقى، كفاية ذل وقرف، إنت مش اتجوزت عليا ... سيبنا وامشي بقا أنا مش هعيش معاك تاني
- ما انا هامشي ... بس قبل ما أمشي هحرق قلبك عليهم.
ترك أنور شعر فريدة واعتدل في وقفته وقال للطفلتان:
- انا مش راجع هنا تاني واللي مش هتيجي معايا فيكوا يبقى ملهاش أب ولا هتشوفوا مني قرش تاني
نظر لسيف وقال:
- أخرج برا يلا أنا مش ناقص قرف
ركض سيف لباب الشقة وخرج والخوف بملامح يغطيها الفزع.
وجه أنور سؤاله لمليكة:
- هتيجي معايا ولا لأ يا بنت أمك!
قالت بتحدي وهي تحتضن والدتهاالجالسه علي الأرض وصوتها مغلف بالبكاء:
- مش هاجي معاك ومش عاوزه أشوفك تاني
- تمام كدا، وأنتي مش بنتي
نظر لبسنت وقال:
- وانتي يا بسبس هتيجي مع بابا؟
نظرت بسنت لأمها وهزت رأسها أن نعم .صرخت فريدة والدهشة تملأ عيناها:
- بسنت لأ! لا يا بسنت متعمليش كدا!
نظر لها أنور بشماته وقال بضحكة:
- تمام أوي ... أنا كدا عملت اللي أنا عاوزه.
انتي طالق.
ظلت تصرخ فريدة والحسرة تملأ صوتها:
- حرام عليك ... حسبي الله ونعم الوكيل
حمل أنور بسنت وخرج من الغرفة.
احتضنت مليكة والدتها وبكت فريدة في حضن طفلتها، بكت كما لم تبك من قبل، بكت بعد أن قطف أنور عمرها، بكت بعد أن قطف زهرة من قلبها

ورحل!
و تبقت في قلبها زهرة أخرى لكن بدون تربة!
تحول كل شيء! حياتنا لا تسير على وتيرة واحدة فمخطئ من يأمن مكر الأيام.
ف اليوم أظهر أنور كل ما يملكه من حقاره.و طفله لم تدرك بعد كم حقارة والدها أظهرت شجاعه و قوه لا يتناسبان مع عمرها
فإزداد عمرها اعواما عديده منذ ذلك اليوم.
كيف لزهرة صغيرة أن تنمو في تربة صخرية!
لكن التربة الصخرية أصبحت واقع ...
أواقع هو أم ما صنعته أيدي الآخرون؟
-الواقع- (دائمًا أرى أن تلك الكلمة السخيفة تحمل الكثير بداخلها.فما الواقع إلا ما اختاره الآخرون لنعيشه ونرضى به!)
دائمًا أؤمن أن هناك أشخاص هم الذين يصنعون الواقع ويختارونه ويجبروننا على التعايش معه لأنه يندرج تحت مسمى -الأمر الواقع- فكيف لهم أن يختاروا واقعنا بنظرة أعينهم الضيقة التي تحدد وتقسم: ذلك واقعًاً وذلك خيالاً، هذا ممكن وهذا مستحيل، ذاك متاح وذاك لا يجوز.
ألا يعلمون أنهم يصنعون قيود تحكم حلقاتها على أرواحنا، ألا يعلم كل شخص يأخذ قرار أن هذا القرار سيصنع واقع الكثيرين.
يصنعون بأيديهم قرارات ثم تتحول نتائج قراراتهم إلى ظروف لا يمكن الخروج عنها ولا الفرار منها ومهما بذلت من جهد سيظل جزء من واقعك هو ما اختاره الآخرون لأنفسهم. أرى أن كلمة واقع معناها ما وقع منا من أحلام وآمال، ما وقع من جمال روحنا أو ما وقع من أحلامنا في منتصف الطريق فيكبله الواقع بأغلال لا نستطيع التخلص منها ...
كم هو صعب أن يطبق من حولك اختياراته عليك لتصبح واقعك ...
وكم هو أصعب أن تنمو زهرة في تربة صخرية حل فيها الشقاء محل الماء...

أيهما أصعب أن تموت أم أن تعيش على ذكرى من مات!

من مات فقد اسودت عيناه وفارق الحياة ...
أما من يعيش على ذكرى من مات فقد اسودت عيناه وهو لا يزال على قيد الحياة!
ظن الكثيرون أن أصعب ما يواجه الإنسان هو الموت لكنهم مخطئون ...
الأصعب من موت الإنسان هو موت ما بداخل الإنسان، أن يموت بداخله الشعور فيصبح جسدًا بلا روح، أن يموت بداخله كل جميل ف يرى الحياة سوداء، أن يموت بداخله حب ما كان يسعده فلا يرى للحياة فائدة.
أن ينمو بداخله الألم فيصبح إنسان مستسلم للظروف، لا يبقى منه حيًا سوى ذكريات عن أيام كان فيها على قيد الحياة وكلما مرت على باله قتلت ما تبقى فيه من إنسان، ينهار بداخله كل شيء تدريجيًا حتى يصل إلى آخر موت وهو الموت النهائي ...
- الأصعب من موت الإنسان هو موت ما يجعل الإنسان حي -
ساعات، أيام أو شهور ...
هي لا تعلم الفترة التي قضتها داخل المستشفى لا تعلم كم مرة بكت وكم ليلة استيقظت على صوت صراخها لكن الأكيد أنها لم تحضر عزاء والديها، فمنذ هذا اليوم المشيءوم الذي قررت فيه الشمس أن أن تخبئ ضيائها و لا تسطع مجددًا لم تغادر -فاطمة- المستشفى.
منذ شهور أخرجها رجال الإسعاف من حضن والدتها في السيارة، دائمًا كانت تطلب منها والدتها أن لا تبتعد عنها أثناء اللعب لكن هذه المرة والدتها هي التي لم تلتزم بالعهد وابتعدت عنها ... جاء بها رجال الإسعاف لتلك المستشفى للتأكد من سلامتها لكن في حياتنا هذه لا يوجد شيء لا يترك أثر ... من المؤكد أن هذه الليلة ستترك لها شرخ نفسي لا ترممه الأيام... وجسدي أيضًا ...
فقد تعرض عمودها الفقري لصطدام قوي أثناء سقوط السيارة وكان لهذا الاصطدام أثر كبير على الأعصاب فبقيت شهور في المستشفى تعاني من التشنجات العصبية التي تحدث لها كل يوم بمجرد أن تنام وتتآمر عليها الكوابيس لتذكرها بهذه الليلة.

حتى جاء هذا اليوم:
- يعني يا دكتور هي مش هتخف؟
- لا يا مدام سناء مش بظبط كدا. بس احنا وصلنا معاها لأقصى مرحلة في العلاج
- يعني إيه؟!
- يعني هي خفت بنسبة ٩٠٪ ودي أعلى نسبة ممكن توصلها، هي هتخرج من هنا بس لازم تحافظوا عليها لأن الحالة دي ممكن ترجعلها
- يا لهوي! ترجع ليه بس؟
- ممكن ترجعلها التشنجات دي لو اتعرضت لضغط عصبي و لازم تاخد الأدويه بإنتظام
- يا عيني عليكي يا بنتي
- خالو بالكو منها يا مدام سناء متنسيش إن الحادثة اللي حصلتلها مش بسيطة
- ربنا يستر.
خرجت سناء من غرفة الطبيب المعالج لفاطمة وهي تتمنى أن يعفو الله عن حفيدتها.
تلك هي -سناء- والدة علاء الذي كان يسابق القدر ليراها ولم يكن يعلم أنه يتجه نحو قدره هو وزوجته وأن والدته هي من ستحمل وصاية صغيرته.
هذا هو القدر ... لا أحد يعلم خباياه.
-حبيبة تيتا عاملة إيه انهاردة
- الحمد لله كويسة يا تيتا
- عندي ليكي خبر حلو
- إيه!
- الدكتور قالي إنك خلاص بقيتي زي الفل وهتخرجي
- بجد يا تيتا!
- أاه يا حبيبتي هتاخدي بس الدوا شوية وخلاص
مالك يا فاطمة إنتي مش فرحانة ولا إيه؟
- لا يا تيتا فرحانة بس أنا هخرج أروح فين؟

- هتيجي عندي يا حبيبتي
خرجت فاطمة من المستشفى بجسد به إصابة ستشاركها حياتها القادمة.
خرجت وهي لا تعلم كيف ستكون حياتها مع جدتها.الأهم من كل هذا أن قلبها مازال صغيرًا على تحمل هذا الألم
نحن في هذه الدنيا صغار جدًا ...
أما من دون والديك ستشعر أنك لا تسوي ذرة الغبار ...
جلست فاطمة على السرير الذي تنام عليه بجانب جدتها وكأنها تفكر في شيء:
- تيتا هو أنتي بتعرفي تفسري الأحلام؟
- أاه يا فاطمة ليه؟
- طلب لما حد يحلم أن في حد أخذ منه سنانه دا معناه إيه؟
- معناه إن في حد هو يعرفه هيموت
ظهرت على فاطمة الصدمة حينما سمعت ما قالته سناء ثم بكت بحرقة من يشعر بالذنب
- مالك بتعيطي ليه!
قالت من بين دموعها:
- أنا اللي موت بابا وماما يا تيتا أنا حلمت الحلم دا يوم الحادثة
- يا فاطمة مفيش حاجة اسمها كدة، طب ما أنا كنت تعبانة وأبوكي كان جاي عشان يشوفني يبقى كدة أنا اللي موته؟
هزت الطفلة رأسها نافية فأردفت جدتها:
- بصي يا بنتي ... إحنا في الدنيا دي مجرد أسباب وأدوات، كل حاجة بتحصلنا وبنعملها ربنا كاتبها من قبل ما نتولد.
تركت الطفلة جدتها واتجهت للشرفة ونظرت للسماء فوجدت النجوم مضيئة وبراقة، نظرت لسلسلة والدتها حول عنقها وتذكرت كلمات والدها:
(طول ما النجوم دي لسة حلوة وبتلمع اتأكدي إن احنا بنحبك و ديما معاكي)
أرسلت قبلة للسماء وقالت:
- أنا كمان بحبكوا أوي...

مرت الأيام على الطفلة في بيت جدتها تحمل شيئًا من الملل، فلم يكن هناك أحد في المنزل إلا فاطمة وسناء .وفاطمة رغم كل شيء مازالت طفلة تريد أن تخرج وتلعب مع من هم في مثل سنها لكنها تخلت عن هذا أيضًا ...
من منا يدري كيف ستكون حياته المستقبلية!
فحياتنا في هذه الدنيا مجرد خطوات ...
الخطوة السابقة لا تتغير ...
والخطوة الحالية لم نختارها ...
أما الخطوة القادمة ... فستظل مجهولة
كان صوتها أشبه بصوت مكينة لم تعمل تروسها منذ زمن.
نظر باسم لسما بابتسامة مندهشة وقال:
- دنيا؟ اسمك دنيا؟
لم تحرك عيناها من على ركن الحائط وهزت رأسها بأن نعم
- أنا كنت واثق إنك هتتكلمي، قوليلي بقى جيتي هنا ليه؟ إيه مشكلتك يعني؟
قالت بصعوبة بالغة:
- أنا جيت هنا بمزاجي
- ليه؟
- عشان أبعد
- تبعدي عن إيه؟
لم يتلقى منها إجابة فأدرك أن هذا السؤال لم يحن وقته بعد فقال لها:
- طب عرفيلي نفسك اعتبريني جاي أتعرف عليكي ... أنتي مين؟
- أنا....
تقدر تقول كدا المنطف، التفكير، أنا الفكرة وأنا التعبير، أنا الدنيا اللي جوايا وأنا البطل في كل حكاية، أنا اللي من بره متفهمهوش وأنا العالي اللي مهما عليت متوصلوش، أنا الصوت وقت السكات وأنا السكوت وسط الدوشة ... أنا البعيدة.
كانت تتامل الجدران وتنتظر قليلاً بين الجملة والأخرى كأنها تفكر، كأنها تنسج تفاصيل في خيالها وتحولها لكلمات ...

- يعني إيه بعيدة؟
- يعني بعيدة عنكوا ... بعيدة عن حياتكو
- أنا مش فاهم حاجة
رمقته بنظرة تدل على الملل فحاول أن يكسب ودها.
- بصي يا دنيا ... أنا قرأت الملف بتاعك وقرأت اللي أهلك قالوه لما جابوكي هنا بس أنا عاوز أعرف كل حاجة منك إنتي ...
- اللي متعرفهوش إن أنا هنا بمزاجي ... كل واحد مننا عنده أسباب تخليه يبعد، وجودنا في الدنيا دي مكنش اختيار، بس البعد عنها مش إجرام
تشجع باسم لاستجابتها للحوار فسألها:
- يعني إنتي شايفة إنك مش عيانة؟
- وأنت مش شايف أن دي شغلتك إنت؟
تنحنح باسم واستطرد:
- مش مهم أنا شايف إيه، المهم إنتي شايفة نفسك إيه، نص المشاكل النفسية سببها عدم فهم الإنسان لنفسه
- أنا أكثر واحد فاهمه نفسي صح وإنت مش من حقك تقيمني.
شعر باسم أنها لن تتجاوب معه أكثر من ذلك فقال:
- مش من حقي بس أتمنى نكون أصحاب، بس شفتي لما أخدتي الدوا مرة واحدة بقيتي أحسن إزاي واتكلمتي؟
لم تعطيه رد فقال لها:
- طب نتفق على شوية حاجات
- حاجات إيه؟
- أنا هعدي عليكي كل يوم نعمل اللي أنتي عوزاه، نتكلم أو نفضل ساكتين زي ما انتي عاوزة تمام؟
- ماشي
- تاني حاجة، عاوزك تاخدي الدوا كل يوم
هزت راسها موافقة

- وعاوزك تكتبي
نظرت له بعدم فهم فأكمل:
- كل يوم اكتبي اللي إنتي حاساه أو أي حاجة جواكي، أنا متأكد إن جواكي كلام كتير هيطلع في الكتابة ...
- هحاول
- هتحاولي وهتقدري ... على فكرة، إنتي ممكن تخرجي من الأوضة، في هنا جناين كتير وفي مطعم أحسن من إنك تاكلي في الأوضة، عامًة كل حاجة هتيجي بالوقت.
هم ليخرج من الغرفة لكنه قال لها قبل أن يخرج
- صوتك حلو على فكرة، أتمنى أسمعه بكرة كمان ...
عندما خرج نظرت له سما وقالت:
- رأيك إيه؟
- لسة مفيش حاجة باينة بس سكوتها دا معناه إن في ألف كلمة محبوسة جواها، محتاجة حد يسمع ويفكر
- طب وموضوع الـ...
قاطعها باسم:
- أنا هفهم كل الممرضات أسلوب التعامل معاها هيبقى إزاي ...
اختفى باسم في طرقات المصحة تاركًا خلفًا نفس حائرة، أعماق تحترق، عيون شاردة وقلبٌ تحول لرماد.
في اللحظة التي خرج فيها تحولت الغرفة لزنزانة مليئة بالشكوك والتساؤلات.
- لماذا تكلمت؟
- لماذا فتحت قلعتها الموصدة الأبواب؟
- هل تخبره بما بداخلها؟
- وهل سيفهم ما ستقوله؟
كلها تساؤلات لا إجابة لها، كأن باسم هذا جاء ليزيد حيرتها ويقلق سكونها.
سكونها؟ هي لم تكن يومًا ساكنة، فهذا الصمت بداخله آلاف الكلمات.

لكن ما يقال بدون صوت أصدق بكثير من الكلمات المسموعة!
تحركت من مكانها وانزوت في أحد الأركان وجلست على الأرض وبدأت تكتب كما طلب منها باسم:
-عندما تضيق الدنيا على إنسان ويتجمع عليه: الظلم، الوجع، قلة الحيلة والكسرة فإن الإنسان يفقد الرغبة في المواجهة ... ويهرب من دنياه.
فبعضهم يحاول التصرف بشكل طبيعي، ولكن قلبه يعتصر في صمت.
ومنهم من يجد في الوحدة والسكوت دنيا أخرى، ولا يجد في قلبه أمل ليعود للحياة بعد الموت،ومنهم من يستسلم للظروف ويترك لدنياه الحرية في أن تعبث به حيث تشاء وتقتل ما تبقى فيه من حطام إنسان.
أما أنا... فسوف أغمض عيني وأنتقل لعالم الخيال، عذرًا أيها البشر فلا أجد فيكم من يستحق أن أفتح له عيني ..ولا أريد منكم سوى السكوت.
فظلام ليلي أرحم من ظلام دنياكم
البعيدة-
حقًا ... فإن خير المتألمين الكاتبين ... وإن القلم خير السامعين ...

-أقدامنا ثابتة على الأرض أما أرواحنا فلا يعلم مكانها إلا صاحبها
فنحن لا ننتمي لموضع أقدمنا بل تنتمي إلى حيث تذهب أرواحنا -

فتحت عيناها بملل كما تفعل في كل صباح فلم ترى حولها أي شيء ... السوادن يحيط بها لدرجة جعلتها تشعر أنها لم تفتح عيناها بعد ...
تحركت من مكانها وأخذت تركض وهي لا تعلم إلى أين هي ذاهبة، ركضت إلى أن توقفت فجأة ...
توقفت لأنها شعرت ببرودة تحت أقدامها لا تعلم مصدرها، برودة داعبت قدماها وجعلت القشعريرة بشرى في جسدها.
لحظات وظهر ضوء أبيض من مكان بعيد على الجهه الأخرى من موقعها لكن لم يصل هذا الضوء إليها ولم تستطع أن تميز مصدره ولكن بعد لحظات استطاعت أن ترى ملامح المكان من حولها على أثر هذا الضوء، رأت نفسها في مكان مظلم لا تعرفه، نظرت على قدماها فوجدتهما غائصتان في المياه!
وجدت المياه تغطي قدماها ورائحة البحر تفوح من حولها، رائحة لها أثر بالغ على نفس الإنسان.
رائحة تداعب الروح، أو تقتلها
رائحة تداوي الجروح، أو تزيد احتقانها
رائحة اليود تنعش الروح، أو تحرقها!
نظرت في الأفق البعيد فرأت البحر ممتدا على مدد البصر وظهر مصدر الضوء البعيد على الضفة المقابلة.
شعرت أن هناك بلدان تفصل بين الضفتين لكنها سرعان ما سمعت صوتًا لا تعلم مصدره يكرر اسمها:
- دنيا ... يا دنيا ...
اهتز كل شيء من حولها وانتفض جسدها فرأت ملامح المكان من حولها تختفي وتتغير.
- إيه يا دنيا كنتي بتحلمي بإيه؟
نظرت له بشك:
- عرفت منين أني كنت بحلم؟
- يا بنتي أنا دكتور مش بتاع خضار

ابتسمت رغمًا عنها فأكمل:
- قدامك عشر دقايق وتكوني جاهزة
- إيه؟
- إيه مسمعتيش! عشر دقايق وهعدي عليكي عشان تنزلي معايا تحت
- بس أنا ...
- هششششش ... مفيش بس، إنتي بتضيعي وقت ... كدا قدامك تسع دقايق بس.
خرج وأغلق الباب خلفه كأنه أغلقه على قلبها ... إنه تعمد أسلوب الأمر هذا حتى لا تستطيع المعارضة، هو يعلم أنها ستعارض لذلك لم يترك لها مجال للنقاش ... هل حاولت يومًا إنقاذ غريق؟ ستشعر أنه أثقل من ما يكون وأنه لا يريد أن يخرج معك، ستشعر أنه لا يشتاق الهواء ويريد أن يخرج معك، ستشعر أنه لا يشتاق الهواء ويريد أن يجذبك معه للقاع.
أما هو ف يأمل النجاة من داخله ...
لكن من داخله فقط ... فهو فقد القدرة على المقاومة فلم يجد مفرًا من الاستسلام للتيار.ولا يوجد أصعب من أن تضع القرار أمام الغريق وترحل تاركًا إياه بين الضفتين ...
هل تريد النجاه؟ أم لا ...
رائحة اليود تنعش الروح؟ أم تحرقها ...

-حياتنا عبارة عن بدايات ونهايات متلاحقة، فكل نهاية هي بداية لمرحلة أخرى ...

من يدري إلى أين سيأخذه القدر حيث مرحلته الجديدة.

سرعان ما تمر مرحلة وتبدأ أخرى و يوجد بيننا من تمر مراحله بسرعة البرق، فحالما يلقى

البداية صادفته نهاية.

وبين بداية ونهاية يبقى الكثير مجهولاً ...-

وقت الذروة ... ميعاد عودة الموظفين، المدارس والجامعات، ارتفاع درجة

الحرارة، اختفاء الأوكسجين من الجو وتجمع آشعة الشمس عموديًا على رأسك، كأن الكون يعاقبك على الخروج من المنزل في مثل هذا الوقت بتجمع كل الظواهر الكونية ضدك!
إذا قامت وكالة ناسا بدراسة حالة الكون في هذا الوقت ستجد أن بين الساعة الواحدة ظهرًا والرابعة عصرًا يختفي الغلاف الجوي وتصبح المسافة بين الشمس وكوكب الأرض ١٣ متر.ويتجلى العند الكوني ضدك أثناء ازدجام طرق المواصلات، تجد كل إنسان غارق في شروده وكأن هناك هالة عازلة تحيط به.
فدائمًا خلف كل صمت حكايات.
وكل شرود يخبئ داخله تفاصيل.
إذا دققنا النظر داخل حافلة النقل العام سنجد كلٌ في عالمه سابح.
ومن بينهم تجد فتاة ... فتاة لا تقل عنهم في الشرود أو تزيد!
تجلس منزوية في ركن الكرسي وتستند برأسها على زجاج الشباك وتشاهد السيارات.لا إنها لا تشاهد السيارات .هي فقط شاخصة البشر، أعينها مثبتة على الطريق.
الطريق الذي كان بمثابة نفطة فاصلة في كل مرحلة من حياتها.
فعلى الطريق رحل عنها والداها.
ومن الطريق أخذتها الإسعاف للمستشفى ومنها إلى بيت جدتها، وعلى ذات الطريق الآن هي ذاهبة لمرحلة جديدة في حياتها ...
أخذت تتذكر السنوات الماضية في حياتها ...
فتذكرت هذا اليوم.
استيقظت من النوم على صوت جدتها فوجدتها لا تستطيع التنفس ووجهها يميل للزرقة فانفزعت فاطمة وهي لا تعرف ماذا تفعل!
للمرة الثانية تقف بها الحياة فيي هذا الموقف كمن يمسك بحفنة مياه بين يديه وتتسرب المياه من بين أصابعه ولا يستطيع أن يمنعها!
فكرت لحظات وهي تسمع صوت أنفاس سناء العالية وقالت بفزع:
- تيتا أنا هروح أنده حد من الجيران بسرعة

جرت فاطمة صوب باب الغرفة لتحاول إنقاذ جدتها إلى أن قرر شيء الخروج من عالم نسيانها ورنت تلك العبارة في أذنيها بصوت أمها:
(القدر مبيستناش حد يا فاطمة)
تسمرت قدماها في مكانهما عندما سمعت صوت أنفاس جدتها توقف!
ركضت لسرير جدتها ف تشابكت قدماها و وقعت علي الأرض أكثر من مرة إلى أن وصلت للسرير.وقفت والدموع تخبئ عيناها لا تعلم ماذا تفعل!
ماتت جدتها!ماتت وتركتها كعود قش في مهب الريح. تركتها بعد أن ربتها في بيتها إلى أن أصبحت في الثالثة عشر من عمرها ...
تلاحقت الأيام بعد هذا اليوم بظهور عمها -على- الذي أتمم كل الإجراءات وطلب منها أن تنتقل للعيش مع أسرته في منزله، للمرة الثانية تضع الحياة أمامها اختيار جديد لا تستطيع أن تقبله أو ترفضه.
اختيار لا يوجد فيه خيارات!
طلبت من عمها أن تقضي فترة الامتحانات في منزل جدتها الفارغ تحت رعاية جيرانها حتى تكون قريبة من مدرستها، نعم مدرستها ...
إنها مازلت طفلة ...
رغم كل ما مرت به هي مازالت طفلة لكن بقلب ذاق أكثر من عدد سنينه . وذاكرة رأت أكثر من عمرها
كاذب من قال أن العمر يحسب بعدد السنوات.
فإن سنوات العمر مجرد رقم لا قيمة له، قيمة عمر الإنسان فيما رآه و مر به، ما يحدث لك في عمرك هو عمرك الحقيقي.كل ألم، كل وجع، كل سقوط، كل جرح لا يلتأم يضيف لعمرك سنوات لا تحسب بالأرقام.بل تحسب بما في داخلك.
فقد تجد طفلاً يبلغ من العمر قرون، ورجل لا يمتلك من السنين سوى شهور.
فيا من تحسب سنوات عمري لا تظلمني ...
لا تحسب مادمت لا تعرفني ...
توقفت الحافلة فأخرجتها من شرودها، نزلت فاطمة إلى الشارع ونظرت لـ اللوحات التي تحمل أرقام المباني إلى أن وحدت المبنى الذي يحمل نفس الرقم

الذي في ورقة العنوان بيداها، عنوان بيت عمها ...
مرحلتها الجديدة ..خطوتها التي لا تزال بدون ملامح ...
في المنزل الذي كان مليئ بالحركة ولم يعد ...
جلست مليكة مع فريدة والدتها تتحدثان في ذات الموضوع الذي طالما تحدثا فيه:
- فاهمه يا ماما، بس بسنت سابتنا ليه؟!
- أبوكي غير تفكيرها وخلاني وحشة في نظرها، عشمها بكل حاجة كان نفسها فيها، فهمها إن أنا كنت سبب كل المشاكل ... فمشيت
- طب ممكن ترجع؟
- نفسي يا بنتي نفسي ... بس صعب
- ليه طيب؟
- عشان بسنت اللي خرجت من بيتي من ست سنين بمزاجها صعب ترجعلنا تاني بمزاجها بعد كل الفترة دي.
- تفتكري هي مبسوطة معاه؟ أنا لما بسألها بتقولي آاه
- أنور لو مخلي بسنت مبسوطة معاه يبقى بيعمل كدا بس عشان تفضل معاه، عشان يحرق قلبي ويكسرني.
طول عمره بيعمل كل حاجة عشان يحاول يكسرني وبعد بسنت عني دا الحاجة الوحيدة اللي نجح فإنه يكسرني بيها.
- بعد الشر عليكي يا ماما
- بعد الشر عليكي انتي مش أنا
ظهرت على مليكة علامات التعجب فسألت:
- يعني إيه؟
تحولت ملامح فريدة للقوة وقالت:
- يعني اوعي تسمحي لحد أو لحاجة تكسرك، أوعي تأمني لواحد يا حبيبتي، إوعي تكوني ضعيفة أو سهل حاجة تهزك، الرجالة كلهم أنور.
اهتز صوت الصغيرة وسألت بخوف:

- كلهم!
- كلهم أنور، كلهم لو شافوا نقطة واحدة منورة لازم يطفوها، وأنتي مينفعش يطفوكي.
ملكيش دعوة بيهم ولا ليكي علاقة بأنور، أنتي بنتي أنا ومن عيلتي أنا، إنتي من عيلة الحشاش بس
صمتت مليكة كأنها ترسخ هذه المبادئ بداخلها لتصبح ثوابت منقوشة على جدران معابد روحها
(ومن الحب ما قتل)
هذا بالضبط ما كنت تفعله فريدة، كانت تحاول حمايتها من كل ما تعرضت له هي مع أنور، أرادت أن تبعدها عن ما سبب لها الأذى.
لكنها لم تكن تعلم أنها ترسخ بداخل ابنتها مفاهيم تقتلها، فقد كان كل ما رأته في بيتها كفيل أن يشوه جزءًا من شخصيتها، وما تخبرها به فريدة سوف يثبت هذا التشوه، ومن أصعاب أنواع تشوه النفس أن يمتلك الفرد مفاهيم خاطئة لكنه مقتنع بصحتها ...
لكن على كل حال ... لم تقصد فريدة أن تؤذي ابنتها هي فقط أرادت أن تحميها.
قطع حديثهما صوت جرس الباب فاتجهت مليكة لترى من بالخارج:
- طنط منار إزي حضرتك اتفضلي
- كويسة يا حبيبتي الحمد لله بس أنتي اللي تعالي معايا
- اشمعنى؟
- عندنا حد عاوزة أعرفك عليه
- حاضر، ماما طنط منار عوزاني ف هاروح معاها.
في الطريق بين الشقتين أعطت منار لمليكة بعض المعلومات عن الضيف الذي ستتعرف عليه.إلى أن دخلا الشقة معًا فرأت مليكة الضيف يجلس معهم بجانب حقائبه فقالت منار:
- سلمي يا حبيبتي على مليكة، قربي يا مليكة.

فاقتربت مليكة ومدت يدها وقالت معرفة نفسها:
- مليكة الحشاش
فمدت الأخرى يدها على استحياء وقالت:
- فاطمة علاء النقراشي ...
وكأن الله أراد أن يجمع قلبان يعانيان ليكمل كل منهما الآخر.

-رحم الله روح كل غريق أراد الحياة ... لكن الأمواج أبت-

سماء زرقاء، عشب أخضر، هدوء، مقاومات تتوافر في المتنزهات والحدائق التي يعشقها الأطفال ويتمنون دومًا الذهاب إليها
وتتوافر أيضًا في حديقة مصحة -البداية- للعلاج النفسي، المكان الذي لم يتمنى أحد سكانه أن يقيم فيه،و أن تكون نهايته في مصحة البداية.
- أنا كنت عارف ومتأكد إنك هتنزلي
- كنت عاوزني انزل ليه؟
- عشان نتكلم ... تحكيلي
- عن إيه؟
- عنك ... عن حياتك ... عن إيه اللي وصلك لكدا، عاوز أعرف إيه اللي خلاكي تختاري تعيشي في سجن؟
- سجن؟
- أاه سجن ... لما تبقى منعزلة عن الدنيا ومش بتتكلمي ورافضة أي تواصل مع العالم الخارجي يبقى أنتي عايشة فسجن بابه مقفول
شخصت ببصرها في الفراغ أمامها وعبأت صدرها بالهواء كعلامة تدل على أن حديثها القادم نابع من داخلها:
- متقولش سجن وأنت متعرفش الكلمة دي معناها إيه ... السجن مش سور عالي وباب يتقفل عليك آخر الليل، السجن كسرة نفس و وجع قلب، السجن الحقيقي سجن قلبك وأنا في دنيتكوا دي قلبي هو اللي محبوس.
عارف؟ إنك تكون محبوس وروحك حرة أحسن بكتير من إنك تكون حر وقلبك أسير، عشان لو قلبك حر هتشوف الضلمة نهار لكن لو قلبك مسجون وروحك مضلمة هاتتوه في عز النور. كانت كلماتها تخرج منها بسلاسة على غير عادتها كأن روحها هي التي تنطق بدلاً من لسانها، كانت كأنها تسكب الكلمات من داخلها فلا تبذل مجهودًا في ترتيبها أو التفكير فيها، كانت كلمات تخرج من خلف جدران القلعة.
أكملت كلماتها كأنها تذكرت شيئًا:
- في أغنية سمعتها قبل كدا كان فيها جملة معبرة أوي، كانت بتقول (السجن

فقلبي مش على رسمة صور) الجملة دي لخصت كل حاجة، كان نفسي أعرف مين اللي كاتبها عشان أشكره ظل باسم محدقًا فيها للحظات ثم قال:
- إنتي جبتي الكلام دا منين؟
- من زمان أوي وانا حاسة إننا بنتولد وأساس السجن موجود جوانا، كل موقف بيحصلك وكل صدمة بتتعرضلها بتساعد في وجود السجن.
السجن اللي جوه كل واحد فينا اتبنى طوبة ورا طوبة، كل وجع حسيت بيه وكل كلمة جواك متقالتش وكل دمعة منزلتش وكل أمنية كنت عايش عشانها ومتحققتش وكل فرحة مكملتش ... كل حاجة من دول كنت طوبة في السجن حوالين قلبك.
سجنك ابتدى يتبني من زمان ... وفي كل مرة بتزيد طوبة والصور بيعلى أكثر .. . والنور يقل، وميبقاش في أمل غير في آخر طوبة يا حد يستخدمها ويكسر بيها كل الطوب وقلبك يرجع للحياة، أو تكون زي اللي قبلها وتتحط الطوبة مكانها ويكمل السجن اللي حاربت عشان تهدمه قبل ما يكتمل... الوجع هيزيد أكبر بسبب رفضك إنك تكون مسجون وانت بتعشق الحرية.
محاصر بسجن القيود وسجن الواقع وسجن الظروف.بس أصعب واحد هو السجن اللي حوالين قلبك
خلاصة كلامي إن السجن اللي جواك إنت أصعب بكتير من معتقلات البشر ...
سالت الدموع من عيناها ببطء أمام نظرات باسم المندهشة من كلماتها:
- أنتي ليه شايلة كل دا جواكي. أنا معاكي أن حرية الروح هي أهم أنواع الحرية بس إليه اللي وصلك لكدا؟ إيه اللي دخلك السجن؟
- اللي وصلني لكدا إن السجن بتاعي اكتمل ... المشكلة إن إحنا مش بندرك الكلام دا غير لما يكون الوقت فات ... يعني اللي حصلته حاجة هو أحسن واحد يتكلم عنها.
- بصي يا دنيا ... أنا مش هقولك غير إن علاجك سهل فعلاً بس لازم تساعديني عشان تخرجي
- ومي نقالك إني عاوزة أخرج

- خلاص يا ستي متخرجيش بس على الأقل فهميني
شعرت برعشة في أرجاء قلعتها المحضة تحذر من دخيل يهدد أمن القلعة، دخيل أراد أن يخلص مشيدة تلك القلعة وأسيرتها، هذا صحيح فهي حقًا من شيدت القلعة حول نفسها لتحمي ذاتها وجعلت لها ألف بابًا وباب لكنها ضلت طريق المفتاح فأصبحت أسيرة في قلعتها ...
تمالكت نفسها وقالت:
- مش هحكيلك أي حاجة عن زمان ... عاوز نتكلم عني يبقى ممكن نتكلم عن حاجات جوايا بس مش هحكي حاجة عن حياتي، لو عاوز تعرف اسأل أهلي
- وأنا مش هضغط عليكي عشان عارف إن حالتك هتقول بس اللي هي محتاجة تحكيه ... فأنا هكون موجود ديمًا عشان أسمع اللي أنتي محتاجه تقوليه مع أني مش فاهم إنتي ليه مش حابه تحكي حاجة
- خلي البيبان مقفولة على اللي وراها عشان المستخبي لو كان يبان مكنش اتقفل عليه الباب.
وبعدين تفرق فـ إيه ... هحكي وهتكلم وهيبقى الوضع على ما هو عليه ...
ظهرت نبرة الإحباط على صوتها من جديد وغلف الإرهاق ملامح وجهها فكان ذلك تنبيه لباسم أنها لن تستطيع أن تتحدث أكثر من ذلك فقال:
- عارفة النمل؟
- ماله؟
- الكائن الضعيف دا يا دنيا بيحفر أنفاق جوة الحيطان، بيكسر حاجة صلبة عشان يلاقي رزقه وحياته، النمل ممكن يهد بيوت عشان هو عاوز كدا.
تفتكري ربنا اللي أدى للنملة قدرة تكسر بيها حيطان مش هيخليكي تقدري تكسري سجن جواكي؟
- بس أنا مش نملة
-صح ... إنتي أقوى بكتير
كانت سما مساعدة باسم تجلس بجانبهم وتسجل كل شيء:حديثها، تعبيرات وجهها، حركة يداها وتكور جسدها فوق الكرسي. ظل

باسم معها وقتًا طويلاً يتحدث معها،يشجعها،ويؤكد لها أن شفائها أمرًا سهلاً إلى أن استأذنها ليتركها ترتاح قليلاً بعد أن أعطاها بصيصًا من الأمل.
قد يرسل الله إغاثته لك على هيئة من يبحث عن روحك القديمة بداخل نفسك المظلمة ويوقد لك شعلة ضوء تسير على هداها في طريقك المنحدر.
هم لينصرف لكنه توقف لحظة وقال لها:
- على فكرة اللي كتب الجملة اللي عجبتك في الأغنية كان الشاعر الكبير-عبد الرحمن الأبنودي-
ابتسمت له وقلبها يتمنى أن تكمل حديثها لكن روحها منهكة لا تحتمل
انصرف كل من باسم وسما وفي طريقهما سألته سما:
- هو ليه حضرتك مش راضي تضغط عليها تتكلم أو مش بتعارض فكرة إنها مش عاوزة تخرج؟
- بصي يا سما ... في حالتها الضغط بيجيب نتيجة عكسية، حكايتها أنا عارفها كويس من أهلها وهي مش هتستفيد حاجة لو حكيتها تاني، وكمان أنا لو عارضتها وحسستها بخنقة هتعند ومش هتحكي، مرض الاكتئاب أنواع يا سما وهي النوع بتاعها دا مش عاوز قفش.
- طب حالتها سهل تتعالج؟
- سهل لما هي تكون عاوزة ولما نعالج المفاهيم الغلط الي اكتسبتها بسبب الاكتئاب .موضوع وقت مش أكتر عشان تتقبل الكلام
عاد باسم لمكتبه وكلام مريضته عن نظرية السجن هذه يرن في أذناه.فكلامها صحيح كأنها أديبة أو فيلسوفة! من طول معرفته بالمرضى النفسيين أيقن أنهم يدركون أشياءً لا يلحظها الأسوياء، فما مروا به قادهم إلى المرض النفسي وجعلهم يدركون حقائق لم يكونوا ليعرفوها لولا ما مروا به.
أو ربما كان مرضهم سببه أنهم أدركوا أكثر من الآخرين وفاق ذلك قدره احتمالهم فما أكثر ما لم ندركه حتى الآن، وما أصدق ما يقال على ألسنة المرضى المدركين!
تكورت دنيا على أحد الكراسي الموجودة في الغرفة بعد ان حاولت تغيير مكانها المقدس فوق السرير.

ظلت تداعب خصلات شعرها الحمر الناعم الذي يدل طوله على سنوات من مقاطعة المقص و ظلت تتذكر كيف كانت سابقًا وكيف قادتها الأقدار والأيام إلى تلك الغرفة، ظلت تقارن بين مبادئها ومعتقداتها الحالية والسابقة فوجدت القلم يتحرك بين يداها دون أدنى مقاومة:

(لا شيء يبقى على حاله .

فأنت اليوم تتكون من ما توصلت إليه أفكارك ...، وغدًا ستكون ما ستأخذك إليه تطورات أفكارك ...

فحالتك الفكرية تتغير وتتطور حسب ما توصلت إليه أنت.

أما حالتك النفسية فتتغير حسب ما أوصلك إليه الآخرون.

البعيدة ...)

وبينما هي في تأملاتها سمعت صوت أحدهم كان يصرخ بحدة كأنه يستغيث. بل كأنها تستغيث فصوت الصراخ كان لأنثى، لم تستطع دنيا أن تمنع نفسها فخرجت من غرفتها واتجهت صوب مصدر الصوت.

وصلت لغرفة في نفس الطابق الذي به غرفتها وفتحت الباب فوجدت فتاة تجلس على الأرض داخل بركة من الدماء وتصرخ، تسمرت قدما دنيا للحظات أمام منظر الفتاة ونافورة الدماء المتفجرة من معصم يدها ثم تحركت سريعًا في ردهات المستشفى تصرخ وتبحث عن من يساعدها فقد كانت المستشفى شبه خالية من الأطباء والممرضات.

من سوء حظها أنه كان توقيت اجتماع في مكتب مدير المصحة. ظلت تبحث حتى وجدت غرفة بها ثلاث ممرضات فأخذت تصرخ أمامهم وتنطق بكلمات عن الفتاة من بين صراخاتها وركضت عائدة لغرفة تلك المعرضة حياتها للخطر ولحقتها الممرضات إلى هناك.

وصلوا للغرفة فاختلط صوت صراخ دنيا بالفتاة حتى جذبت إحدى الممرضات دنيا خارج الغرفة ليستطيعوا التعامل مع الأخرى وإنقاذها وحتى لا تتأذى دنيا أيضًا من ما رأته.

أوصلتها الممرضة لغرفتها وأعطتها حقنة مهدئة لتنام بعد تلك الليلة المليئة

بالمفاجئات.
نامت دنيا وبداخلها ألف سؤال عن هذه الفتاة التي لا تعرف حتى ما اسمها ...، من هي؟ لماذا فعلت هذا؟ لا تظن أنك فقط صاحب الأسرار والحكايات، فخلف كل باب مغلق حكايات لا يعلم خباياها سوى صاحبها ... فالحياة عبارة عن أسئلة لا تنتهي أما الإجابات .. فنحن الإجابات.
- بابا وماما ... وحشتوني أوي ... أنا كويسة الحمد لله ومبسوطة ف بيت عمي.
عمي علي كويس معايا وطنط منار طيبة أوي وكمان ابنهم سيف أكبر مني بسنتين وبقينا أصحاب، أنا أاه مكنتش أعرفهم كويس زمان بس دلوقتي أنا بحبهم ومبسوطة معاهم
عارف يا بابا ... أنا كنت فاكرة إنهم هيعذبوني زي سندريلا وكنت خايفة أوي.
ادعيلي يا ماما أنهم يفضلوا كويسين معايا على طول عشان أنا مليش حد تاني أروح عنده.
أنا ديمًا مش بقلع السلسلة بتاعت ماما وبراقب نجوم السما عشان أتأكد أنكو لسة معايا ...
بحبكوا أوي ...-
طوت فاطمة الورقة التي بين يديها دامعه، تلك الورقة التي كتبتها بعد أيام من وصولها لمنزل عمها علي النقراشي.
لم تصدق نفسها عندما أدركت مرور ثلاث سنوات على يوم كتابتها لتلك الورقة، ثلاث سنوات في منزل عمها لم يزعجها أحد بنظرة عين لا تعجبها.
يعاملها عمها معاملة هوائية لكنها لا تزعجها لأنها تراه يعامل كل من في المنزل بتلك الطريقة.
لا يهتم كثيرًا بأحد ومتقلب المزاج أحيانًا لكنه لا يؤذيها على أية حال.
أما منار زوجة عمها فلم تعامل فاطمة يومًا على أنها أقل من ابنتها التي لم يرزقها بها الله.فبعد أن انتقلت إلى بيت عمها أكملت دراستها في ذات المدرسة التي تدرس فيها مليكة، تعود من المدرسة كل يوم لتساعد زوجة عمها في أعمال المنزل ثم تذهب لمليكة ليذاكرا سويًا أو تجلس لتتحدث مع سيف ابن

عمها الذي يكبرها بعامين، فقد أصبحا أصدقاء رغم شعور فاطمة الدائم بانه شخصيته تحتوي على شيء من الغموض لكنها عاهدت نفسها على أن تجعله أخًا لها.

خبأت فاطمة الورقة تحت ملابسها داخل خزانتها وخرجت من غرفتها.

لم تعد هي تلك الطفلة التي دخلت هذا المنزل منذ ثلاثة سنوات، فقد أصبحت آنسة جميلة في السادسة عشر من عمرها، لم تزدها السنوات إلا جمالاً وجاذبية، ولم يتغير فيها شيئًا سوى هذا الحجاب الذي ينير وجهها ليزيدها رقة فوق جمالها.

خرجت متجهة لباب الشقة فجائها صوت من خلفها:

- رايحة فين؟

سألها سيف وعلى وجهه ابتسامة فأجابت:

- رايحة أجيب حاجات لطنط من السوبر ماركت

- طب استني أنا جاي معاكي

- ماشي يلا بينا

نزل كل منهما قاصدين المتجر القريب من المنزل لشراء ما طلبته السيدة منار، كانا يتحدثان أثناء طريقهما عن الدراسة وعن المنزل وعن كل شيء بين أخ وأخته لكن طوال الطريق وفاطمة تشعر أن هناك كلمات تقف في حلق ابن عمها ولا يستطيع أن يكتمها لكنها لم تسأله عن ما يريد قوله احترامًا لخصوصيته.

وصلا لمقصدهما واشترت فاطمة كل ما طلبته السيدة منار وهما بالعودة وفي أثناء عودتهما نطق سيف بما تضيق به نفسه:

- فاطمة تعالي نقعد هنا شوية

مشيرًا إلى حديقة مفتوحة بجانبهما فقالت:

- اشمعنا؟

- عاوز أتكلم معاكي بعيد عن البيت

صدق حدثها!... فهي لم تكذب إحساسها يومًا ولم يخدعها توقعها أبدًا.

دخلا الحديقة وجلسا سويًا على إحدى المقاعد فوق طبقة العشب الأخضر

الناعمه
- اتفضل يا سيدي عاوز تقول إيه؟
- إنتي بقالك أد إيه معانا يا فاطمة؟
- ٣ سنين ما إنت عارف بس ليه
- طب وناوية على إيه بعد كدا؟
- ناوية أروح بسرعة عشان نعمل الغدا قبل ما أمك تقتلني
- فاطمة أنا مش بهزر
- وأنا مش فهماك
- طب في الفترة اللي كنتي فيها معانا دي أنا كنت بالنسبالك إيه؟
- إيه يا سيف أسئلة البرامج دي
- ردي بس
- انت أخويا يا سيف وربنا يعلم أنا بحبكوا إزاي بس في إيه؟
- في إن أنا خلاص قررت ... دلوقتي إنتي فاضلك شهور وتدخلي ٣ ثانوي وانا داخل ٢ تجارة يعني خلاص كبرنا
- أها وبعدين
- أنا قررت أني هخطبك من بابا وبعد ما تخلصي ثانوي نتجوز
لم تستطع أن تخرج الكلمات من حلقها من هول صدمتها.
- إيه سكتي ليه؟ أنا بحبك يا فاطمة
حاولت أن تتمالك نفسها وترد على كلماته التي ألقاها في وجهها كالحجارة.
- سيف! سيف إنت اتجننت؟! انت إزاي تفكر كدا
- ومفكرش كدا ليه؟ أنا بحبك وأبويا مش هيعترض وأنا جاهز اتجوز قريب وقررت
- مسمعتكش جبت سيرتي فكل دا
- يعني إيه؟
- يعني إنت بتتكلم عن نفسك بس ،بالنسبالي إنت اخويا بس ومش هتكون غير كدا

- لا يا فاطمة إحنا مش اخوات
- أنا شايفاك اخويا وبحبك كأنك أخويا بس غير كدا لأ ... سيبك من الهبل دا أنا مش عاوزة أخسرك كأخويا
- هبل! أومال أنتي عايشة معانا على أساس إيه؟
- يعني هما بيربوني عشان أتجوزك؟
توتر سيف وتردد قليلاً ثم استطرد:
- محدش منهم قال كدا بس دا أقل مقابل تقدميه
-ظهر الغضب علي ملامحها وارتفع صوتها.
- أنا هعتبر نفسي مسمعتش الكلام دا ومش هحكي لحد وانت هتفضل اخويا
- لا يا حلوة خلصت على كدا مفيش اخوات، يا زي ما قلت يا خلاص ومع ذلك أنا مديكي وقت تفكري
نظرت له نظرة مليئة بالاحتقار وغادرت الحديقة سريعًا دون أن تنطق بكلمة، كانت تسير مسرعة بين المارة محاولة الهروب من ما سمعته.
ها هي قد سمعت الكلمات التي كانت متجمدة في حلقه .تمنت لو أنه شرب جرعة من مياه النار أو منظف المرحاض ليبتلع تلك الكلمات ولا يلقيها في وجهها كالحجارة المشتعلة.
أخذت تسير في طريقها للمنزل وهي لا ترى شيئًا من هول الصدمة، لا تصدق أن سيف أخاها الذي منحها الله إياه ليكون عونًا لها يراها بهذه الطريقة، يراها شيء لا رأي له مثل أي زهرية في المنزل توضع على أي طاولة ولا تعترض.يرى أنها يجب أن تدفع مقابل حياتها معهم.
ماذا تفعل؟ هل تخبر اهلها؟ لا بالطبع لن تفعل ذلك فهي لن تشعل النيران في المنزل الذي احتواها لسنوات، ولن ترضى أن تخرب بيت السيدة التي أكرمتها وعوضتها عن غياب والدتها.خطر كل هذا على بالها ولكن كانت هناك فكرة واحدة تسيطر على بالها ... أنها فقدت صديقًا وأخًا، أن كلمات سيف هذه هدمت معبد علاقتهما فوق رأسها ولن يستطيع أن يشيد أحدًا جدرانه مرة أخرى.

تمنت من كل قلبها أن يوقظها أحدًا من النوم ليخبرها أنها كانت تحلم وأن سيف مازال أخاها وصديقها الذي يملأ عليها هذا المنزل ويكسرا معًا حاجز الملل لكنها تأكدت أنها لا تحلم عندما وصلت لنهاية الطريق.
الطريق الذي ذهبا فيه معًا وعادت منه هي بمفردها.
الطريق الذي بدآه أخٍ وأخت ونهياه نهاية غير متوقعة.
ذهبا سويًا ولم يعودا معًا ...
لا تنصدم ... فهي اعتادت أن تبدأ كل طريق بحال وتنهيه بحال آخر.
ألم أقل لك أن حياتنا مجرد طريق له بداية وله نهاية وما بينهما مجهول؟
فسلام على كل صديق ظل صديق.
.وسلام على كل صديق لم ينحرف في مفترقات الطريق

- من قال أن الجروح مع الوقت تلتئم؟ هناك جروح غائرة. مع الوقت تزداد عمقًا-

ذات اليوم صباحًا: (منزل فريدة الحشاش)
هذا ما كان مكتوب على باب شقة مليكة الحشاش ... نعم فقد حصرت فريدة ابنتها في عائلة الحشاش نسبًا ولقبًا.
هذه هي الفتاة ... مليكة ... الطفلة التي أصبحت شابة جميلة، الفتاة التي تدل ملامحها على انتمائها لطبقة راقية، لم تكسرها السنين ولم تهزمها جراحها الماضية، لم تزدها السنين إلا قوة وتحدي وكبرياء، كلمات والدتها عن القوة والتماسك وعدم السماح لأي أحد بالاقتراب مرسخة داخل عقليتها، كونت تفريدة فتاة قوية مثلها لا تنهزم، وزرعت بداخلها الخوف من كل شيء.
أصبحت مليكة تفكر في كل شيء على أنه سيؤذيها أو يجرحها، أصبحت تبتعد عن كل شيء ممكن أن يؤذيها كي تظل قوية.
لكن بداخل هذا الشكل الخارجي المتماسك توجد طفلة خائفة .
أما اليوم فهو يوم تنتظره سيدتين المنزل منذ فترة طويلة، فالبعيدة قادمة، بسنت قادمة ...
سافرت بسنت مع والدها في رحلة عمل منذ عامين ولم تزر بيت والدتها من حينها وعندما عادت طلبت منها مليكة أكثر من مرة أن تأتي لتزورهما وترى والدتها حتى وافقت بسنت.
لا توجد كلما تصف سعادة فريدة عندما علمت بزيارة بسنت، فبالرغم من تعاملها الرسمي مع والدتها عند آخر زيارة قبل السفر إلا أنها فرحت كثيراً بقدومها.فرغم كل شيء ستظل بسنت زهرتها الصغيره
بسنت التي لم ترها منذ أكثر من عامين، بسنت التي غادرت منزلها وهي طفلة بإرادتها وها هي اليوم ستعود له بعد أن تجاوزت السادسة عشر.
ما أسرع عقارب الساعة عندما تطلب منها أن تبقى وما أبطأها عندما نترجاها بالرحيل.
على مدار ثلاث ساعات أخذت مليكة تتأمل عقارب الساعة وتطلب منها أن تسرع قليلاً لترى من غابت عنها وأخيرًا استجابت العقارب لندائها ودق جرس باب الشقه فاندفعت مليكة صوب الباب وفتحته بينما كانت فريدة منتظرة

على باب الغرفة تراقب ما سيحدث بين الفتاتين.
ارتمت مليكة في حضن أختها الغائبة، ارتمت في حضنها بشوق ينم عن قدر الحب الكامن في قلبها تجاه من قاسمتها كل شيء حتى ملامح وجهها وأخذت تردد كلمة (وحشتيني) في حضن أختها كأنها تقولها بعدد كل مرة اشتاقت فيها لأختها ولم تستطع أن تخبرها بذلك، لكن فريدة لم تطمئن لما رأته من برود في رد فعل بسنت.فقد كانت ثابته في مكانها بوجه خال من أي تعبير بينما الخرى لم تستطع أن تتركها إلا بعد فترة.
ويا ليتها ما تركتها.
ذهبت فريدة لتسلم على ابنتها فلم تتحرك بسنت خطوة واحدة من مكانها إلى أن وصلت الأخرى إليها وسلمت عليها بشوق بينما كانت بسنت تسلم بجفاء كما لو أنها رأتها أول أمس أو أنها تسلم على أحدًا لا تعرفه من قبل.
دارت الأم صدمتها من موقف اللقاء وحاولت الترحيب بابنتها:
- عاملة إيه يا حبيبتي طمنيني عليكي
- كويسة وانتو
- كويسين عشان انتي فوسطينا يا بنتي
ابتسمت ابتسامة مجاملة فأرادت مليكة تخفيف حساسية الموقف:
- حياتك ماشية إزاي يا بوسي؟
- عادي يعني
ظلت مليكه كثيرًا تقص علي شقيقتها كل شيء عن حياتها،دراستها،أصدقائها و حتي هذا المطرب الذي لا يمر عليها يوم إلا بإستماع أغنياته. وبسنت تجيبها على مضد بكلمات مقتضبه. أما فريدة فكانت تنظر للاثنتان معًا.
مليكة بملامحها الهادئة وملابسها العادية وبسنت التي بدت بمظهر لم تراه فريدة من قبل، ملابس ضيقة مبالغ فيها مع هذا الصوت المزعج الصادر من خلخال قدمها العاريه ،و مستحضرات تجميل لا تتناسب مع سنها جعلتها تبدو بمظهر وضيع لا يليق ببنات العائلات . لم تتمالك فريدة نفسها أمام ما تراه فإندفعت قائله:

- إيه يا بنتي اللي انت لبساه دة
- ماله يعني
- مش قصدي يا حبيبتي، قصدي يعني بصي كدا على شكل أختك حلو إزاي
- حلو لنفسها أنا مليش دعوة بحد ومحدش ليه دعوة بيا.
انصدمت فريدة من رد ابنتها وتحول لون وجهها للأصفر واختنقت الكلمات في حلقها وقالت:
- يعني إيه يا بنتي
- يعني أنا حرة وجاية أسلم عليكو و أمشي ومش محتاجة توجيه من حد
- حد! ربنا يكرمك يا بنتي
تركتهم فريدة واتجهت لغرفتها وفي طريقها لم تستطه أن تمنع سيل الألم الراغب في التدفق من عيناها ف تساقطت منها الدموع.
لم تتمالك مليكة نفسها بعد أن رأت الكسرة في عين أمها.
- إيه اللي انت عملتيه دا
- في إيه؟
- في إيه انتي ... انتي ليه بقيتي كدا وليه بتعملي فيها كدا
- هي اللي عملت فينا كدا، هي اللي فرقتنا وهدت البيت، لوهي فاكرة أني ممكن ف يوم أرجعلها تبقي بتحلم
- مكنتش أعرف أنه غير تفكيرك أوي كدا
- برده أنا حرة وأقولك حاجة كمان؟ أنا مش داخلة بيتها دا تاني
اهتز صوت مليكة وقالت:
- ولا حتى عشاني؟
نظرت لها الأخرى بذات الشماتة التي ظهرت في عيني أنور يوم فارقهم وقالت:
- إنتي لو عاوزة تيجي بابا ممكن يسمحلك تيجي
سالت الدموع من عينا مليكة وشعرت بوخز في قلبها وقالت:
- إنتي كدا بتقطعي كل حاجة بينا
- ومين قالك اني هاجي هنا تاني أصلاً عشان يكون في حاجه بينا

قالتها وغادرت المنزل بعد أن صوبت آخر ما في جعبتها من سهام في صدر أختها، بل صوبته في صدر والدتها أولا ثم اخترقها وشق صدر توأمتها.
لم تتمالك مليكة نفسها ولم تقوى قدماها علي حملها فسقطت على الأرض بقوة أخرجت فريدة من غرفتها.
رأت ابنتها جالسة على الأرض تبكي فجلست بجانبها وسألت:
- مشيت؟
فأجابتها الصغيره بصوت تملأه الحسرة وعينان مغطيتان بالدموع:
- مشيت يا ماما مشيت
رغم كل ما حدث كان بداخلها أمل أن تعود علاقتها ببسنت كما كانت لكن بعدما حدث هذا اليوم أصبحت على يقين أن توأمتها قطعت كل خيط يمكن أن يوصل بينهما في يومٍ من الأيام.
ما أصعب أن يموت عزيز بالنسبة لك وهو لا يزال على قيد الحياة، وما أصعب أن تفقد شخصًا كنت ترى أن الأمان يكمن في وجوده، والسعادة مصدرها عيناه.
لم أعرف يومًا السر وراء لعبة الشطرنج ...
موت الجنود لا يؤثر في اللعبة ولا يوقفها، أما إذا مات الملك فتنتهي اللعبة في الحال حتى وإن كان هناك الكثير من الجنود على قيد الحياة، ف بمجرد ذلك لا يستطيع صاحب الملك المقتول الاستمرار أبدًا.
لماذا؟ لماذا يكون موت الملك هو نقطة الوقوف؟ لكن مؤخرا اكتشفت أن هذه اللعبة تشبه الأنسان كثيرًا.
فهناك مواقف في حياة الإنسان لا تؤثر فيه كثيراً ولا تترك في نفسه علامة، إلا موقف واحد لا تستتطيع أن تسير الحياة بعده كما كانت قبله ولا إراديًا يقف عندها الإنسان ... أو يتوقف!يشعر بهزة عنيفة اجتاحته وحطمت كل قدراته على التحمل.
هناك شخص بحد ذاته خسارته تكسرك ومهما خسرت من الناس لن تتألم إلا لخسارته.
(في اللعبة أيضًا كلما زاد عدد العساكر القتلى أصبح موت الملك أسهل)

وفي حياتنا كذلك ... كلما زادت مرات احتمالك كان وقوعك أقرب.
فلا تجعل أحد يصل إلى موضع ملكك حتى لا تنتهي اللعبة بسهولة ...
كل فرد عزيز تخسره ينهار أمامه أحد الأعمدة التي تحمل قلبك وتحميه من السقوط
وفي هذا الصباح فقدت كل منهما واحد من أهم الأعمدة التي تحمل قلبيهما فقد فقدت فاطمة أخًا وصديقًا كانت قد ألفت وجوده في حياتها وبجانبها، كانت سعيدة بوجود العائلة التي فقدتها قديمًا وبوجود الأخ الذي لم يكن موجودًا في حياتها قبل ذلك، وها هي اليوم تفقده مجددًا رغمًا عنها، فهو من وضع أمامها خيارين: إما أن يكون في حياتها بالشكل الذي حدده هو، وإما أن تلغي وجودها في حياته نهائيًا ...
أما هي فكانت تأمل في اختيارًا آخر.
ما أصعب أن يضع أمامك أحدهم فرصة الاختيار بينما أنت تأمل في إجابة غير موجودة داخل قوس الخيارات.
على كل حال فهي قد اعتادت على الفقد ...
أما مليكة فمصيبتها أكبر ... فقد افترقت الأختان ...
افترقت الأختان أصحاب الوجه الواحد ولكن من المؤكد أن مبادئهم لم تعد واحدة.
تغيرت بسنت كثيرًا، لم تصبح أختها التي ولدت معها في نفس اليوم ولم يكن ليفرقهما سوى الموت ...
بل فرقتهما الحياة التي تعد فرقتها نهاية بلا رجعة ...
فأصبحت هذه بسنت أنور أما الأخرى فهي مليكة الحشاش ...
مر اليوم شديد القسوة على فاطمة ومليكة، ترجت كل منهما من الوقت أن يمضي مسرعًا حتى يلتقيا كما كانتا تفعلا يوميًا ...
حل المساء اخيرًا وأسدل الليل ستائره لتغطي ضوء الشمس والتقت الفتاتان.
في الشرقة الواسعة المطلة على الشارع الهادئ جلست كل منهما مع الأخرى، كانت هذه جلستهم المفضلة في منزل مليكة، تجلسان وتضحكان وتتسامران

ولا مانع من بعض النميمة التي تتغذى عليها الفتايات علي انغام المطرب الذي تعشقه مليكه. كان لقائهما هذا أفضل مقطعًا في اليوم بأكمله فهمها كانت الظروف لا يؤجلا أبدًا هذا اللقاء كأنه الرحيق الذي يتغذيان عليه.
أما اليوم فهو مختلف فكل منهما كانت نفسها تطوق للقاء لتلقى كل ما حدث في اليوم أمام صديقتها ...وكانت البداية لمليكة.
جلستا في الشرفة موجهين بصريهما علي الشارع ومليكة تسرد كل ما حدث مع بسنت فتبكي تارة وتسخر تارةً أخرى وفاطمة تنسط إليها بذهن شارد ونفس معبئة بالكلمات حتى لاحظت مليكة شرود صديقتها فقالت:
- بطوط إنتي معايا؟
انتبهت الأخرى من شرودها فقالت:
- آاه يا حبيبتي معاكي كملي
- أكمل إيه أنا خلاص خلصت إنتي اللي شكلك فيكي حاجة
صمتت فاطمة للحظات كأنها تبحث عن ما تقول وأكملت:
- لا تمام أنا بس مش نايمة كويس.
أدركت مليكة كذب صديقتها فقررت أن لا تتركها قبل أن تعرف ما جرى:
- أنتي كدابة وفي حاجة مضيقاكي و...
صمتت مليكة عندما قاطعتها فاطمة قائلة:
- سيف بيحبني ...
هل جربت أن يسكب عليك أحدهم دلو مياه مثلجة في شتاء شهر يناير؟ هذا تحديدًا ما شعرت به مليكة لدرجة أنها شعرت بخطأ فيما سمعته فسألت بأنفاس متقطعة:
- أنتي قولتي إيه؟
كررتها فاطمة على مسامعها وأخذت تحكي كل ما حدث معها وكل ما قاله سيف والأخرى منصتة لها دون أن تفهم ما تلقيه فاطمة على مسامعها حتى أنهيت فاطمة ما في جوفها وجاء الدور على مليكة لتعلق على ما سمعته لكنها لا تعرف ماذا تقول؟ لا تعرف كيف كانت تخرج الكلمات منها مسبقًا من الأساس.

ماذا تقول؟ وبماذا تعلق وهي تلتقط أنفاسها بمعجزة حتى أنقذتها فريدة:
- فاطمة ... مرات عمك اتصلت بتقولك تعالي عشان عوزاكي
- حاضر يا طنط هروحلها دلوقتي
وجهت فاطمة حديثها لمليكة قائلة:
- معلش أنا هامشي دلوقتي عشان طنط منار عيزاني
شعرت مليكة بالراحة من العبء الذي كان فوق أكتافها وقالت:
- ماشي ولا يهمك هشوفك بكرة إن شاء الله
- تصبحي على خير
- وأنتي من أهله.
غادرت فاطمة إلى شقتها فاتجهت مليكة لغرفتها سريعًا ووصدت الباب من خلفها ورقدت في سريرها لا تحرك ساكنًا لكن الأفكار تعصف برأسها ...
ما الذي يحدث؟ لماذا تشعر بهذا الكم الهائل من الألم؟
فهي لا تحبه ... لم يكن سوى مجرد شعور بداخلها ظهر منذ بضعة أشهر ولم تعطيه اهتمامًا ... فهي لا تحبه، مليكة الحشاش لا ولن تحب
بل هي تحبه ... كانت تكذب نفسها وتجاهد شعورها كل تلك المدة لأنها خائفة، تخاف من أن تحبه، تخاف من أن تشعر بأي شيء، تخاف من أن يكسرها أحد، تخاف من أنور جديد ...
ها نحن نرى أن مبادئ فريدة مترسخة بداخلها حتى النخاع، لم ولن تعترف حتى أمام نفسها أنها أحبته، بل هي ستكرهه أيضًا، تلك هي ابنة فريدة، قررت أنها ستقتل ذلك الشعور الذي لا تعترف بوجوده .. فهي لا تحبه لا تعرف مصدر هذا الألم الذي لا ينتهي ... لكنها لا تحبه.
بقيت ليلتها مترنحة داخل صراعها النفسي، قضت ليلة قاتله بعد يوم كان أصعب من احتمال البشر ...
نامت وهي تشعر بوخز في صدرها لا تعلم مصدره.
إذا نظر احدهم لحالها بزاوية أبعد قليلاً سيعلم أنها تحبه، فمن لم يشعر بمرارة الفقد فليعلم أنه لم يحب قط ... لكنها مليكة الحشاش ... فهي لا تحبه!

على الناحية الأخرى في ذات الليلة قطع شرود فاطمة طرقات متقطعة على باب غرفتها فعدلت ملابسها ووضعت حجابها فوق رأسها وأجابت:
- اتفضل.
انفتح الباب وظهر سيف من خلفه فتهللت أساريرها لرؤيته، ها هو قد جاء لها ليخبرها أن تنسى كل ما قاله لها وأن تعود أخته الصغرى مرة أخرى.
دخل سيف إلى الغرفة بوجه ممتعض وقال باقتضاب.
- فكرتي؟
غطت علامات الدهشة وجهها وسألت:
- فكرت ف إيه؟
-فكلامي اللي قلته الصبح
قالها ليضرب بكل آمالها السابقة عرض الحائط
- مفكرتش ومش هفكر ومش عاوزة أسمع منك الكلام د اتاني
- وانا يا هنفعك يا هأذيكي
لم تفهم قصده فسألت:
- مش فاهمة
أجابها موضحًا ما يقصده:
- يعني انتي محفظتيش جميل الناس الي ربوكي بعد ما كنتي هتبقي في الشارع
- إيه الكلام اللي أنت بتقولوه دا!
-هو دا اللي عندي، من الليلة دي انتي بالنسبالي غريبة وهأذيكي لو حبيت، خافي مني بقى.
قالها وخرج من الغرفة بعد أن وضعها في حالة من الصدمة والدهشة لم تستطع أن تقاومها إلا ببضع عبرات ساخنة تدفقت على وجنتاها الحمراء قبل أن تغمض عيناها لتغط في نومٍ عميق.
ما أغرب هذا -الحب- يأتي ليمحي كل علاقة كانت قبله، يمحي الأخوة والصداقة ليصبح الطرفان محبان فقط.
وإذا لم يتفقها ينتهي بعده كل شيء كان قبله، فهي كلمة لا عودة بعدها.

إما أن تكون أو لا تكون ...
لكن كيف استطاع أن يعامل من يحب بكل تلك القسوة؟ كيف تغير معها إلى هذا الحد؟ وأين ذهبت عشرتهم الطويلة قبل هذا اليوم؟
حقًا فعند اللقاء نخرج أفضل ما فينا، وحين يأتي الفراق يظهر أسوأ ما في أنفسنا .
أشرقت شمس الصباح على كل من في الأرض بيومٍ جديد، عم نور الصباح كل أرجاء الحديقة الواسعة التي لا تزدحم رغم كثرة من فيها بسبب مساحتها الواسعة.
أخذت دنيا تسير في الحديقة بفستانها الفضفاض الرمادي اللون، وشعرها الحمر الملفوف فوق رأسها كعادته.
أخذت تسير ببطء إلى أن رأتها، لم تكن صدفة فلم تخرج دنيا للحديقة إلا للبحث عن الفتاة التي رأتها بالأمس تغرق في دمائها.
وجدتها جالسة فوق أحد المقاعد. فتاة طويلة القامة لها بشرة داكنة وشعر أسود مجعد يضفي على ملامحها شيئًا من الجاذبية، ترتدي ملابس لها ألوان مبهجة ومزدهرة، مظهرها المشرق جعل دنيا تشك في أن تلك هي التي رأت أمس على مشارف الموت، لكن تلك الضماضة البيضاء حول معصمها جعلتها تتأكد أنها هي.
اقتربت دنيا من الفتاة الجالسة و ودت لو أنها تستطيع أن تطمئن عليها لكن منعها ترفعها عن الحديث
- هتفضلي واقفة كدا؟
تنبهت دنيا من شرودها على صوت الفتاة فلم تجيبها، أو لم تعطيها الفتاة فرصة لتجيب فأردفت:
- تعالي يا بنتي اقعدي
اقتربت دنيا ببطئ وجلست بجانبها فاكملت:
- أنا نسمة وانتي؟
صمتت لحظات قبل أن تقول بصعوبة:
- دنيا

أجابتها الأخرى بابتسامة:
- أسمك حلو قوي
- شكرًا
أردفت الفتاة ببسمة أكثر اتساعًا:
- معلش بقى قلقتك امبارح
- أنتي كويسة!؟
- آاه زي الفل الحمد لله
لم تستوعب دنيا ما تراه وغطى عدم الفهم ملامحها فأدركته نسمه و قالت بإبتسامه:
- مالك؟
- أصل ...
قاطعتها نسمة:
- فاهمة قصدك ... شكلي النهاردة مختلف أنا عارفة بس دا الطبيعي بتاعي
- ممكن تفهميني أكتر؟ ليه عملتي كدا وأنتي شكلك كويسة
أخذت نسمة شهيقًا طويلاً وبسمتها لم تختفي من على وجهها:
- امبارح وانا راجعة الأوضة لقيت كباية إزاز على مكتب الممرضات فأخدتها معايا معرفش ليه وأول ما دخلت الأوضة فضلت أبصلها كتير اوي،وبعدين كسرتها ومسكت حتة من الإزاز المكسور وفتحت إيدي بيها وبعدين حضرتك جيتي
كانت تتحدث بمنتهى السهولة كأنها تحكي أحداث فيلمًا لا تمت إليها بصله فسألتها دنيا:
- ليه كدا؟
ضحكت وقالت:
- هو انتي جاية تتفسحي في سيتي ستارز؟ دي مصحة نفسية يا بنتي يعني كلنا مجانين،
متزعليش مني بس أنا بحب أهزر

- لا أبدًا كملي
- أنا يا ستي عندي مرض مش فاكرة اسمه، اضطراب حاجة كدا ... المهم كل فترة بيجيلي وقت أكون مش في وعيي فيه وبعمل حاجات مش مفهومة بس مش بكون قصداها
- حاجات زي إيه؟
ضحكت نسمة وقالت:
- لا أنا متجددة، مرة أنط في حمام السباحة وأنا مش بعرف أعوم، مرة أقف على الشباك، مرة أعور نفسي زي ما سعادتك شوفتي كدا ... وكل مرة حد ابن حلال زيك ينقذني ...
اندهشت دنيا لتلك السهولة التي تتحدث بها فقالت:
- أنا أول مرة أسمع عن حاجة كدا
- هو مرض اسمه مكلكع كدا، أسماء الأمراض نفسها تجيب اكتئاب يا بنتي، بس علي فكره لازم تشكريني عشان عرفتك على واحدة مسلية زيي
- معلش متزعليش مني بس أنتي إزاي واخدة الموضوع بسهولة كدا
- أومال أعمل إيه؟ هيحصلنا إيه أكتر من الي احنا فيه
- حضرتك (٩١٦)؟
نظرت الفتاتان لمصدر الصوت الرجالي الذي كان حديثه موجهًا لدنيا التي لم تفهم قصده فأجابت نسمة:
- أاه يا شادي هي (٩١٦)
نظرت دنيا لها بعدم فهم فقالت نسمة:
- هنا العمال بيندهوا كل واحد برقم الأوضة بتاعته، ودا يا ستي شادي صاحبنا كلنا
نظرت دنيا لهذا الـ -شادي-:
- أيوة.
أجابها الآخر:
- دول ٤ كتب في واحدة جابتهم زيارة لحضرتك من فترة

فقاطعته نسمة:
- اسمها دنيا
- أهلاً وسهلاً
ابتسمت دنيا ومدت يدها لتأخذ منه الكتب فأعطاها إياهم ورحل لكنه التف ونظر إليها أكثر من مرة ولحسن الحظ لم تلحظ دنيا ذلك.
- مالك يا بنتي قافشة كدا ليه؟
أجابتها دنيا بإبتسامه مستنكره:
- قافشة؟ أنا كدا اتحسنت كتير
- يعني هتخرجي قريب؟
قالتها نسمة بغمزة:
- أخرج؟ أنا مش عاوزة أخرج
رفعت نسمة حاجبها مستنكرة:
- ليه يعني؟ كلنا نفسنا نخرج برا
- أنا لأ ... أنا مكاني مش برة، مش في الدنيا بتاعتكوا دي
ضحكت نسمة وقالت:
- هههههه أومال منين؟ المريخ؟
قالت دنيا بوجوم:
-مش من مكان ...
قالتها وقامت تاركة مكانها قاصدة غرفتها لتبحث عن أوراقها وأقلامها ... أصدقائها المنسطين دومًا:
- أنا لا أصنف نفسي ... أنا لا أنتمي لأحد ولا لشيء ... أنا أنتمي فقط لدواخلي ... لا أنتمي إلا لدواخلي التي لا تنتهي ولا حدود لها. كلما أنظر في أعماق نفسي أجد فيها جديد. أجد فيها ما يستحق مني التفكير، أجدها لا آخر لها ولا يوجد دليل على أن يكون لها نهاية.
على الرغم من فهمي الشديد لنفسي إلا إنني في كل مره أجد بداخلي أبواب جديدة.

كل ما بداخلي أؤمن به أكثر من إيماني بنفسي. فلماذا ألا أنتمي له؟
حدودي الجسدية على هذه الأرض أما ما بداخلي فيمتد بعيدًا وحدوده تفوق حدود السماء، تتفرع لتكون عالم أعشق وجودي فيه.
فما أكثر ما أؤمن به وما أوسع عالمي الداخلي ، ولهذا العالم أنتمي أنا ...
كاذب من قال أن الانتماء يكون فقط للمكان ... فانتمائك الدقيق يمكن بداخلك البعيدة ...-

-سلاما علي من وقف خلف الستار و أبى أن يرحل ليحقق عهده و يبقى بالجوار.-

و- سلاما علي من رأى جدار قلبك يريد أن ينقض فأقامه...-

من قال أن الكلمات الصادقه تقال بسهوله؟ فما أصعب تلك الكلمات التي تمس في طريقها للخروج صمامات قلبك و تطرق كل أبواب الذكرايات المغلقه
تنهدت ثم قالت بشرود:
- يمكن عشان كرهت وجودي معاكوا
سألها باسم:
- ليه؟
أجابته دنيا وعيناها معلقتان على الحائط:
- وحشة وكلها شر، مفيهاش حاجة بتدوم ولا حاجة كويسة بتكمل
- مش شايفة إنك بصة للدنيا بمنظور ضيق شوية؟
- أنا باصة بالمنظور اللي شوفته فحياتي ... أنا شفت أكتر من ما تتخيل لحد ما اتغيرت وكرهت حياتكوا، كرهت اللي شفته منها لدرجة أني مبقتش قادرة أعيش فيها
صمتت دنيا لبرهة فقطع باسم صمتها قائلاً:
- كملي أنا سامعك
- كدب وخيانة ونفاق من كل الناس ،الأهل والصحاب والناس اللي كنت بحبهم. اكتشفت دا متأخر أول فأتكسرت
- عارفة يا دنيا إيه أحسن حاجة عملتيها؟
سألته باهتمام ظاهر على ملامحها:
- إيه؟
- إنك جيتي هنا ... كلنا مرضى يا دنيا بس الفرق إن في ناس اعترفت بمرضها وفي ناس لسة معرفتش إنها مريضة وفي ناس بتكابر. وصدقيني أحسن نوع فيهم هو النوع اللي أدرك مرضه وبيحاول يعالجه
- ليه؟ ليه مش أحسن نوع هو اللي ميعرفش أنه مريض
- عشان اللي ميعرفش أنه مريض هيفضل المرض ياكل فجسمه ويغير من روحه لحد ما يبقى واحد تاني غير نفسه، إنما انتي عملتي الصح لما جيتي هنا ووجودك هنا ليه معنى واحد

ضحكت باستنكار وقالت:
- أني مجنونة صح؟
- لا يا ستي مش معناه إنك مجنونة ... معناه إنك عاوزة تتعالجي ... إنك رغم كل اللي حصلك لسة جواكي حتة منورة، لسة جواكي حتة رافضة تموت ولسة بتعافر عشان تعيش، ووجودك هنا هيساعدك لحد ما تبقى إنتي كلك اللي منورة ومش هتخرجي من هنا غير لما انتي اللي تكوني عاوزة تخرجي
- تفتكر ممكن حاجة ترجع زي الأول بعدما اتكسرت مية حتى؟
- مين قالك إنك اتكسرتي؟
نظرت له باستنكار رافعة أحد حاجبيها فأجابها قبل أن تسأل:
عارفة الخرزانة؟
- نعم؟
- الخرزانة يابنتي ،العصاية اللي كنا بنضرب بيها في المدرسة زمان
- آاه مالها
- الخرزانة دي يبان أن شكلها ضعيف ومع ذلك صعب جدًا تتكسر ومهما تتنيها مش بتتكسر وبترجع تتفرد تاني أحسن من الأول، لو الخرزانة دي مش بتتني هيكون شكلها أقوي بس أسهل إنها تتكسر.لكن هي قوتها فإنها بتجاري الظروف اللي بتتنيها بس بعد فترة بتتفرد ومش بتتكسر، فهمتي حاجة؟
ابتسمت وقالت:
- على فكرة إنت دكتور شاطر أوي
- بس أنا قلت إن أنا مش دكتور إحنا اصحاب
قطع حديثهم أحدًا يفتح باب الغرفة بقوة دون استئذان قائلاً بمرح:
- يا صباح الفل يا ست الكل
لاحظت نسمة وجود دكتور باسم فقالت معتذره:
- معلش يا باشا مكنتش أعرف إنك عندها
فأجابها باسم بلهجة المرح ذاتها:
- تعالي يا نسمة اتفضلي ... انتو تعرفوا بعض؟

- أاه يا دكتور وأوعدك إننا هنبقى أصحاب
نظر باسم لدنيا قائلاً:
- بس أنا كدا ضمنت إنك هتكون مجنونة رسمي يا دنيا
ضحك ثلاثتهم ثم هم باسم بالخروج من الغرفة لكنه نظر لدنيا قائلاً:
- سلام يا خوخو
نظرت له دنيا بعدم فهم وقالت:
- إيه خوخو دي؟
ابتسم لها باسم وغمز لها بعينه قائلاً:
- دلع الخرزانة
قالها وخرج قبل أن يتلقى أي رد، خرج تاركًا دنيا ونسمة يتجاذبان أطراف الحديث:
- عاملة إيه يا بت ... أنا أسفة لو كان كلامي ضايقك امبارح
- لا أسفة على إيه بس انتي معملتيش حاجة، أنا حاسة فعلاً أننا هنكون اصحاب
- ياريت والله أحسن من المجانين اللي هنا
ضحكت دنيا وكانت هذه أول ضحكة تخرج من قلبها منذ أن وطأت قدماها تلك المصحة.
توقفت دنيا عن الضحك وقالت بجدية:
- هو أنتي ممكن تحكيلي حكايتك
- هههههه أاه طبعًا بس انتي مش ناقصة بؤس
- لأ متخافيش عليا
- ماشي يا ستي هحكيلك بس بشرط
- إيه؟
- ننزل نفطر سوى
- بس ...
قاطعتها نسمة كأنها أخذت القرار قبل أن تسمع:

- أنا عارفة أنك بتاكلي في الأوضة بس أنا قررت إننا هننزل ناكل في المطعم وبعدين هحكيلك كل حاجة
ابتسمت دنيا لأنها أدركت أن لا جدوى من الجدال مع تلك الفتاة العنيدة فاستسلمت لرغبتها وغيرت ملابسها واتجهتا إلى المطعم.
كانت نسمة تتحدث طوال فترة الإفطار بينما دنيا ترد بكلمات محدودة أو تكتفي بالابتسام فقط لكنها شعرت بشرارة صداقة تشتعل بينهم.
كثيرًا ما يهون وجود الصديق كثيرًا من العواقب، لكن ليس كل الأصدقاء لهم القدرة على زراعة الورود في صحراء أيامك، فهناك أصدقاء من نوع -إدوارد- فهو يظهر دائمًا بدور صديق البطل الأبله الذي لا يفيده ذرة بل يوفعه بالمشاكل دومًا. فهناك صديق يضع الصخور فوق رأسك وآخر يحملك أنت فوق رأسه، وهذا النوع الخير هو الذي تنتمي إليه -نسمة-. فقد حظت دنيا بصديقة تماثلها حتى في مرضها فكانت لها بمثابة جرعة من الهواء النقي في جو معبأ بالأتربة.
حتى وإن كانت حياتك عبارة عن بستان مزهر فستظل هناك زهرة مميزة ومقربة لقلبك ... ذاك هو الصديق
- حقًا فإن صاحب التجربة هو خير من يتحدث عنها-
مرت الأيام سريعًا على الزهرتان الصغيرتان -فاطمة- و -مليكة-
نعم قد حلت فاطمة مكان بسنت في قلب مليكة وأصبحتا أكثر من الإخوة حتى ظن بعض الناس أن فاطمة أخت مليكة لكنهم كانوا مخطئون. فعلاقتهم كانت تفوق حد الخوة بعدة سنوات ضوئية.
مرت عليهم سنة كاملة فاقت فيها صداقتهم سرعة الأيام، لم ترى مليكة أختها منذ ذلك اليوم الذي لم تسطع فيه الشمس ولم تحاول بسنت أن تتواصل مع والدتها أو شقيقتها فاستعاضت -مليكة- عنها بفاطمة.
أما فاطمة فتغيرت حياتها قليلاً في منزل عمها، فقد أصبح سيف يعارضها في كل شيء ويعاملها بقسوة لكنه لم يبالغ حتى لا يلحظ ذلك من في المنزل، لذلك كان يتعمد إهانتها عندما يكونو بمفردهم. لذلك كانت فاطمة تتعمد تجنبه حتى لا يتعكر صفو الحياة في المنزل الذي لم يجعلها تعاني من شيء منذ أن دخلته.

في هذا الأسبوع انتهت امتحانات الثانوية العامة الخاصة بالفتاتين وأصبحتا على مشارف مرحلة جديدة في حياتهم.
- فاطمة. إصحي يا فاطمة ... يا بت إصحي
فتحت فاطمة عيناها بصعوبة ثم أغلقتهما سريعًا من أثر الضوء لكنها فتحتهم ببطء مرة أخرى بعد لحظات وقالت بصوت يملأه النعاس:
- أفندم عاوزة إيه؟
كانت مليكة تجلس بجانب فاطمة على سريرها:
- عندي فكرة ف دماغي بقالها كتير وقررت إننا ننفذها دلوقتي
جلست فاطمة على السرير بتثاقل ووعي شبه غائب وقالت:
- فكرة إيه؟
رفعت مليكة عنقها للأعلى وقالت:
- أنا أكتب وانتي تمثلي
قالت فاطمة بصوت نائم تملئه نبرة المرح:
- الأحسن أنا أطبل وانتيي ترقصي
لكمتها مليكة في كتفها وقالت:
- انتي بتهزري؟
- أاه صح ... معلش نسيت إنك مش بتعرفي ترقصي أصلاً
نظرت لها الأخرى باحتقار:
- بكرهك
- ما انتي بتقولي كلام أنا مش فهماه ... فهميني طيب
- بصي يا ستي ... إنتي عارفة إني بحب أكتب من زمان وانتي قولتيلي إنك كنتي بتمثلي مسرحيات في المدرسة في ابتدائي
- أها وبعدين
- فأنا قررت أني هكتب مسرحيات وانتي تبقي البطلة ونعرضها على مسرح الكلية لما الدراسة تبدأ
- أنتي بتتكلمي بجد

- أومال جاية أهزر معاكي على الصبح يعني
- طب هتكتبي عن إيه؟
وقفت مليكة فوق السرير كأنها عارضة أزياء وقالت:
- هكتب عننا
- يعني إيه؟
- حياتي انا وانتي فيها حاجات كتير أول ينفع تكون مسرحية وأنا بدأت فأول مسرحية هنعملها إن شاء الله
- هتكون عن مين!
صمتت مليكة برهة ثم قالت بهدوء:
- عنك
ابتسمت لها الأخرى وهي لا تدري ماذا تقول لكنها تثق تمام الثقة في موهبة صديقتها.
تعاقب الليل والنهار كثيرًا على المنزلين، فكانت مليكة منهمكة في كتاباتها بين الأقلام والوراق وفاطمة تفكر في كيف ستؤدي الدورالذي عاشته مسبقا!
تعاقبت الأحداث سريعًا بين ظهور نتيجة الثانوية العامة والتنسيق حتى التحاقهم بكلية الآداب. فقد اختارتا قسم الإعلام في كلية الآداب لأن مجموعهم لم يؤهلهم للالتحاق بكلية الإعلام ذاتها. فقد كانتا لهما نفس الآمال والطموحات.
اليوم ... قد مر شهرين على التحاقهم بالكلية وحان الموعد المنتظر.
فاليوم سيفتح الستار لأول مرة عن العرض المسرحي -رحلة على الطريق- تأليف مليكة الحشاش وبطولة فاطمة النقراشي. كان العرض صورة طبق الأصل من الحقيقة مع بعض التعديلات الطفيفة لحبك الصياغة المسرحية وليتناسب مع سن فاطمة الحالي. بدأ العرض أمام أعين الحاضرين المنبهرين من أداء فاطمة الرائع وتمكنها من الدور، لكن لم يعرف أحد سوى مليكة أنها لم تكن تمثل، بل تسرد جزء من حياتها أمام أعين المشاهدين. فإذا تأمل أحدنا في حياته سيجد أن كل فترة فيها تليق بأن تصبح عرض مسرحي كامل الأركان.
فما هي حياتنا إلا حكايات متتابعة.

مر العرض بنجاح حتى جاء مشهد الختام فطغي الظلام علي خشبة المسرح إلا من بقعة ضوء دائرية تقف أسفلها فاطمة تؤدي مشهد النهاية بمفردها حتى جاءت جملتها الأخيرة فقالت:

- -حقًا فإن الأبوين نعمة وأنا كنت أكثر المنعمين، وفقدانهم موت لنا وأنا أصبحت أشد الفاقدين.-

أغلقت الستارة ودوي صوت تسفيق الجمهور في أرجاء المسرح فأهتزت جدرانه شاكره موهبتين جديدتين . أما فاطمة فأغمضت عيناها وسالت دموعها الدافئة على وجنتيها تنعي فقدانها للمره الألف.

جلست دنيا في الحديقة مع صديقتها الجديدة لتستمع إلى حكايتها كما وعدتها نسمة.

- تحبي أبدأ منين

كان هذا السؤال من نسمة فأجابتها دنيا:

- زي ما تحبي بس ياريت من الأول خالص.

- ماشي يا باشا ... اسمعي بقا.

اعتدلت نسمة في جلستها لتقوم بدور الراوي وبدأت قائلة:

- أنا بنت وحيدة وليا أربع أخوات ولاد، أبويا صعيدي ودماغه رجعية جدًا وكان عنده مبادئ هتتصدمي لو سمعتيها وأهمها إن خلفة البنات عار وغضب من ربنا

- نعم؟

- مش قلتلك هتتصدمي

- كملي

- كان عصبي جدًا ومفضل أخواتي عليا أنا وأمي فكل حاجة، كان حارمني من كل حاجة بحجة إنها عيب وكان ديمًا بيقولي إني هم نفسه يخلص منه بسرعة رغم إني كنت عندي سبع سنين مثلاً

ظهر الاندهاش على ملامح نيا فاستطردت نسمة:

- متتخضيش كدا أنا لسة مقلتش حاجة ... كان معيشنا فسجن أنا وأمي بس

هي كانت بتحميني منه كتير فكان بيأذيها هي، ياما شفته بيضربها قدامي على أتفه الأسباب وهي كانت ديمًا بتقولي إنها مستحملة كل دا عشاني أنا وكانت بتقولي إنها بتحوش من فلوس شغلها عشان ف يوم نسيبهم ونمشي... بس ملحقتش

قالتها ولمعت عيناها بدموع مكتومة فأخذت شهيقًا وأكملت:

- في يوم كانت بتتخانق معاه عشان أخد اخواتي الصبيان يفسحهم وأنا لأ ... فضل يضرب فيها لحد ما كانت هتموت في إيده وبعدين سابها ونزل.

توقفت نسمة للحظات فقالت دنيا:

- كملي يا نسمة أنا سمعاكي

- فضلت تعيط طول الليل وأنا نايمة جنبها لحد ما نامت هي كمان ومصحيتش ... ماتت من الذل والقهرة والمرمطة.

مشوفتش نظرة حزن في عين أبويا عليها ومن يومها وأنا جوايا كل الوجع والحزن والكره اللي شفته فعنيها قبل ما تنام، اتجمع جوايا كره ورفض بشع لأبويا ولكل حاجة وصلت أمي للحالة اللي ماتت بيها.

تعرفي ... أمي كانت اسمها -نوارة- ويوم ما ماتت كل حاجة ضلمت في وشي فجأة و...

انقطع حديث نسمة لشدة بكائها الذي أوقف الكلمات على لسانها

- نسمة أنا أسفة أني فكرتك ، خلاص كفاية كدا متحكيش حاجة

- لا يا حبيبتي عادي ولا يهمك أنا عاوزة أكمل.

- كملي أنا معاكي

- لما أمي ماتت كان عندي ساعتها ١٢ سنة وكان وقت الأجازة اللي بعد سنة ستة ابتدائي، لقيت ف يوم أبويا داخل عليا وبيقولي كفاية كدا

- كفاية إيه؟

- كفاية تعليم لحد كدا

- ليه بس أنا عملت إيه؟

- انتي خلاص بتعرفي تفكي الخط ومعاكي ابتدائية عاوزة إيه تاني؟

- عاوزة أكمل وأبقى مهندسة زي ما وعدت ماما
- مهندسة إيه! الشغل دا للولاد وانتي خلاص اتعلمتي ودلوقتي لازم تتعلمي حاجة مفيدة أكتر
- إيه هي؟
شغل البيت ... هي دي الحاجات اللي الستات مخلوقة ليها مش الشغل والمسخرة
- يا بابا الشغل مش ...
- بس اسكتي، لما انتي تشتغلي يبقى اخواتك الصبيان يلبسوا طرح ولا إيه؟ دلوقتي البيت مفيهوش ست وأنا مش ناقص مصاريف عشان أروح اتجوز تاني
- وأنا ذنبي إيه
- هي دي الحاجات اللي الستات لازم يعملوها وانا خلاص قررت، هتقعدي في البيت وتتعلمي تطبخي وتخدمي اخواتك واحمدي ربنا إنك لسة عايشة معانا يا حبيبة أمك، وعلى فكرة، أنا مش هقبل نقاش في الموضوع دا تاني وأنا خلاص سحبت الملف بتاعك من المدرسة
وجهت نسمة وجهها لدنيا وقالت:
- تخيلي يا دنيا خرجني من المدرسة عشان أخدم اخواتي؟ مع إني قلتله أني هعمل كل دا وانا بتعلم بس موافقش، زي ما يكون كان قاصد يكسرني
- أنا أسفة يا نسمة بس انا مش مصدقة إن في حد بالعقلية دي لحد دلوقتي وكمان ...
- آنسة دنيا
قطع حديثهم صوت رجالي وجدوه شادي عندما نظروا له فقالت نسمة بمزاح على عكس الحالة التي كانت عليها في حديثها:
- جاي ف وقت زي الزفت يا شادي بصراحة
- هههه معلش والله بس في زيارة للآنسة دنيا
تنبهت دنيا فقالت:
- زيارة ليا أنا؟ مين؟

- مش عارف. أنا في حد بلغني أقولك إن جايلك زيارة في الأوضة فوق
توترت دنيا قليلاً ثم قالت:
- ماشي شكرًا ... معلش يا نسمة هروح أشوف مين ونكمل كلام بعدين
تركتهم دنيا ورحلت بينما شادي أبقى نظره معلقًا عليها فأخرجه صوت نسمة من شروده:
- إيه يا عم في إيه؟
- لا لأ ولا حاجة
اتجهت دنيا صوب غرفتها تقدم ساق وتؤخر أخرى لكنها مع الأسف أدركت باب غرفتها وهي لا تعلم من ذاك الغريب الذي ينتظرها خلف الأبواب.
رفعت دنيا يدها و وضعتها فوق مقبض الباب وأدارته لترى من المنتظر القابع بالداخل ..

- أنظر لكل شيء من أعلى ... فستدرك للأمور بواطن لن تدركها من مكانك -

لن تتميز يومًا في شيء بقدر تميزك في شيء تعبر فيه عن نفسك.
لذلك نجح كل من مليكة وفاطمة فيما يقدمانه لأنه نابع من أرواحهم فأصبح كل من بالجامعة يعرفهم ويعرف صداقتهم، فقد كانا يقضيات معظم أوقاتهم في المسرح سويًا لذلك تعرفت عليهم -علا- زميلتهم في القسم وفي المسرح أيضًا.
كانت فتاة ممتلئة الجسم، بيضاء البشرة، لها شعر أسود مموج يصل إلى منتصف ظهرها.
أصبحت علا صديقتهم بحكم اللقاء اليومي في المحاضرات والمسرح.
وقفت الثلاث فتيات في حديقة الكلية تتحدثان عن المحاضرات والامتحانات حتى قالت مليكة:
- أنا هاروح أقعد مع أحمد شوية وآجي تاني
فغمزتها علا:
- هو إيه الحكاية يا كوكو
- إنتي اتهبلتي يا علا؟ أنا بس بحاول أساعده ولقيت أنه متجاوب معايا فحرام أسيبه كدا
- لا يا شيخة
قاطعت فاطمة حديثهم قائلة:
- إمشي يا مليكة إنتي مش هتخلصي من زنها
- ماشي سلام.
كان أحمد هذا زميلهم في الكلية لكن ظروفه كانت صعبة نوعًا ما، فقد كان منطوي ولا يستطيع التعامل مع الناس وشخصيته مهزوزة بعض الشيء، تعرفت عليه مليكة عن طريق الصدفة وأدركت مشكلته وأنها تعتبر عقبة بالنسبة له في الدراسة ، فحاولت مساعدته من باب الإنسانية والأخلاق. فأصبحت تساعده على المذاكرة وتدعوه لحضور عروضهم المسرحية وتعرفه على أصدقائها فلم يكن هناك أطيب من قلبها حينما يحتاجها أحد
- بت يا فاطمة ماما عاوزاني أروح دلوقتي ف همشي أنا بقى
- ماشي سلام يا لولو

انصرفت علا إلى منزلها وبقيت فاطمة بمفردها شاردة
- ازيك
نظرت فاطمة حيث مصدر الصوت الذي لا تعرف لمن ينتمي فوجدته هو، ذاك الفتى الذي شاهدته يراقبها من علي بعد طوال الأسابيع الماضية.
قالت بتلعثم:
- الحمد لله مين حضرتك
- أنا معتز زميلك في سنة ثالثة علوم مد يده ليصافحها فمدت يدها هي الأخرى على استحياء
- إنتي فاطمة صح
- أاه عرفتني منين
- إنتي الجامعة كلها عرفاكي
- أنا؟ ليه؟
- يمكن عشان انتي أحسن ممثلة في مصر.
-هههههه في مصر مرة واحدة! بلاش مبالغة
- لأ بجد مش بجاملك بس أنا بيعجبني تمثيلك جدًا وبحب أفكار المسرحيات بتاعتك
- شكرًا بس موضوع الأفكار دا المسئولة عنه مليكة صاحبتي
- أاه بشوفها معاكي دايمًا
- أنت مراقبني بقي؟
- لا لا أبدًا ... أنا بس كنت حابب أتعرف عليكي.
ابتسمت في حياء وعلت وجهها حمرة الخجل التي تزيدها جمالاً فوق جمالها الهادئ.
لم يشعرا بمرور الوقت حتى مرت ساعتان وهم يتحدثان معا، حدثته كثيرًا عن نفسها وحدثها كثيرًا عن نفسه حتى أتت مليكة واستأذنته أن تأخذ فاطمة ليعودا للمنزل فتركته فاطمة بعد أن اتفقا على موعد آخر للحديث وطلب منها أن يكونوا أصدقاء.

وفي طريق العودة أجابت فاطمة على ٧ مليون سؤال من مليكة على هيئة: مين دا؟ وعاوز إيه؟ اتكلمتوا ف إيه؟ حتى وصلتا أخيرًا للمنزل. ركضت فاطمة إلي غرفتها في حالة من السعادة لم تصل لها قط وأخذت تفكر في هذا الغريب الذي لا تعلم من أين أتى أو ماذا يريد لكنها كانت سعيدة على كل حال ويكفي هذا. فإذا وصلت يومًا للسعادة لا تسأل عن الأسباب.

علاقاتنا مع من هم حولنا مثل الجدار، يزداد طوله يومًا بعد يوم كلما توطدت علاقتنا بهم، فمن أراد القرب عليه أن يشيد جداره في قلوب الآخرين بقواعد ثابتة تأبى الانهيار ويقيم حوله ألف سورٍ وألف عينٍ ساهرة تحرس جدارة من نسيم الهواء.

وهكذا شيد معتز جداره داخل روح فاطمة بسرعة البرق فاقتربا من بعضهما كثيرًا في فترة قصيرة وفاقت علاقتهم حد الصداقة، فاقته أكثر من ما توقعته هي نفسها، فعلى مر السنوات كانت فاطمة الأميرة صعبة المنال التي تسكن في برجٍ عالٍ عن أحلام كل من حاول التقرب منها وكان آخرهم ابن عمها سيف.

لكن هذه المرة اختلف الأمر تمامً.ا فقد أسدلت الأميرة خصلات شعرها الذهبي من نافذة برجها الشاهق ليتعلق بخصلاتها ذلك الشاب الذي أقحم نفسه داخل تفاصيل برجها دون استئذان وعلى غير العادة كانت هي سعيدة بهذا الاقتحام وسلمت روحها لأميرها المنتظر ليبني بداخلها ألف جدار.

- كفاية كلام عن معتز بقى

قالتها مليكة لفاطمة وهم بداخل حافلة النقل العام في طريقهم للجامعة، ف لم تتوقف فاطمة عن الحديث عنه منذ بداية الطريق.أو بشكل أوضح لم تتوقف منذ أن تعرفت عليه.

- أومال أحكي لمين يعني؟

- احكي لسيف هيفرحلك أوي

قالتها مليكة بضحك وأخرجت لسانها لفاطمة

- بس يا كلبة، المهم إنتي إيه رأيك؟

أخذت مليكة شهيقًا يدل على أن ما يليه سيكون على محمل الجد:

- أنا شايفة إنك بلاس تتسرعي يا فاطمة إنتي لسة متعرفيهوش كويس
- بصي يا مليكة إنتي عارفة أنا تعبت فحياتي إزاي وطول عمري بدور على حاجة تعوضني وأنا عمري فحياتي ما كنت مبسوطة زي دلوقتي وحاسة إن ربنا بيعوضني بيه
ابتسمت مليكة في حنان وحب وقالت:
- وأنا مش عاوزة غير إني أشوفك مبسوطة أنا بس كنت خايفة عليكي عشان بحبك لكن هفضل أدعي ربنا أنه يخليكي مبسوطة كدا دايمًا.
ابتسمت لها فاطمة. ابتسمت لصديقتها المخلصة بصدق، فهي تعلم كم تحبها مليكة و تعلم أن خوف مليكة دافعه الأول حبها لها، فكانت تخشى عليها من أن يصيبها أي مكروه أو أن يصيبها ما أصاب -فريدة-، فقد كانت تخشى عليها من كل من يشبه -أنور-، أما علا فكانت تكره معتز أكثر من كره سندريلا لزوجة والدها، فلطالما عنفت فاطمة وانتقدت علاقتها به ووصفتها بالسطحية والانسياق خلف تفاهات، لم تهاجمها بدافع الحب ولم تشعر فاطمة يومًا أنها تهاجمها خوفًا عليها بل كانت تنتقد من أجل الانتقاد ليس أكثر.
فنحن نقبل أن يضع أحدهم الصخور فوق رؤوسنا بدافع الحب والحماية ولا نقبل أن ينفث أحدهم زفيره بجانبنا وهو لا يعلم أي شيء عن ما بداخلنا، قطع حديثهم وصولهم لوجهتهم فنزلتا من الحافلة ومنها إلى الجامعة.
اتجهت فاطمة للقاء معتز في الكافيتريا حيث موعدهم المعتاد، أما مليكة فكان لها موعد من نوع آخر.
ذهبت لتجلس مع أحمد صديقها ذا القلب النقي لتشرح له محاضرة الأمس لأنه لم يفهمها.
الحق يقال فقد تغير أحمد كثيرًا عن يوم قدومه للجامعة فأصبح يستطيع التحدث مع بعض الناس ويحضر المحاضرات بل وكون بعض الصداقات الجديدة متخليًا عن انطوائيته وكان لمليكة الفضل في ذلك بعد الله سبحانه وتعالى.
- أنا مش عارف أشكرك إزاي بجد
-قالها أحمد بامتنان فأجابته مليكة:

- شكر إيه يابني مفيش الكلام دا بين الصحاب
تهللت أساريره لما سمعه منها فقال:
- يعـ ... يعني احنا أصحاب بجد
- أاه طبعًا! إصحاب واخوات كمان
توجم وجهه قليلاً لكنه ابتسم بلطف ليكملا ما اجتمعا من أجله.
في أثناء ذلك كانت فاطمة تجلس مع معتز كعادتهما يتحدثان ويضحكان لكن حدث ما كان تخشاه فاطمة، فقد مر سيف من أمام ناظريها ولم تكن هذه المرة الأولى التي يراهم فيها بحكم دراسته معهم في نفس الجامعة لكن هذه المرة لم يكتفي سيف بالمراقبة لكنه كسر عادته وفعل ما فاق توقعاتها.
اقترب سيف منهم كثيرًا فأصبحت دقات قلبها تنافس أمهر عدائين العالم في سرعته عندما أصبح سيف أمامهم مباشرةً:
- معلش أنا أسف لو قطعت كلامكوا أنا بس عاوزة فاطمة دقيقة
نظر له معتز وهو لا يعلم من هذا:
- مين حضرتك معلش؟
نظر لها سيف بضحكة خبيثة قائلاً:
- السؤال الصح هو انت اللي مين، أنا ... اخوها
لم تنبث فاطمة بكلمة واكتفت بنظرة لمعتز لا تحمل أي معنى سوى ننتظر قليلاً! وقامت لترى ماذا يريد هذا البغيض منها، تحركت بضع خطوات بقلب يغطيه الثلج حتى قال سيف ورائحة الكراهية تفوح من فاه:
- جيت في وقت مش مناسب ولا حاجة؟
- إنت عاوز إيه؟
- ولا أي حاجة أنا بس حبيت أفكرك بحاجة قلتهالك زمان.
نظرت له وهي لا تعلم ما يقصد أو لا تتذكر:
- فاكرة لما جيتلك الأوضة من سنتين وقولتلك أني هأذيكي لو حبيت؟
لم ينتظر أن يتلقى إجابة بل اقترب من أذنها وقال بابتسامة وصوت أشبه بفحيح الثعبان:

- خافي مني بقى
قالها واختفى من أمام عيناها بسرعة، إذا كانت هذه قصة فيلم عربي قديم لا شك أن من سيقوم بدور -سيف- هو الأستاذ -عادل أدهم- لتاريخه الباهر في أدوار الشر وأن الأستاذة -ميرفت أمين- ستقوم بدور فاطمة ليعرضا هذا المشهد أمام أعين المشاهدين ويختمه الأستاذ عادل قائلاً -هأذيكي يا قطة- في مشهد سينمائي مشوق.
عادت ميرفت مرة أخرى للطاولة ... أقصد فاطمة!
عادت وقد ذاب الثلج عن قلبها واشتعلت مكانه نيران كره -عادل أدهم- الذي يشوه صفو الحياة عليها
أخذ معتز يلقي أمام وجهها سيل من الاستجوابات عن ما كان يريده سيف منها وعن علاقتها به التي بدت أنها ليست طيبة بالمرة، أجابته فاطمة بذهن غير حاضر وعينان زائغتان وبال منشغل بما قاله سيف وهي تعلم أنه إذا أراد سيفعل وأن حديثه هذه المرة ليس مجرد تهديد.
قررت فاطمة أن تحكي لمعتز كل ما حدث بينها وبين سيف على مدار السنتين السابقتين حتى يكون على دراية كاملة بمجريات الأمور. فإذا أردت لأي علاقة الاستمرار فابتعد كل البعد عن الكذب وقل كل ما في جعبتك حتى لا يستغل أحدهم أحد سهامك التي لم تخرجها ضدك.

-قل للذي ظلمك انتظر ... فكأس الحياة يدور وأبدًا لن ينكسر-

فتحت دنيا باب غرفتها ودلفت إليها مغلقة الباب خلفها لترى من ينتظرها لكنها رأت شخص ضرب بكل توقعاتها عرض الحائط، آخر شخص كانت تتوقع زيارته ... وأسوأ شخص!

- انت بتعمل إيه هنا؟

قالتها بنبرة حادة وعينان محدقتان فأجابها الشاب بمنتهى البرود:

- مش تقوليلي ازيك الأول

- يا بجاحتك يا أخي إنت إزاي ليك عين توريني وشك تاني؟

- أنا عارف إنك زعلانة مني بس أنتي لازم تحطي نفسك مكاني

اقتربت منه دنيا والشر يتطاير من عيناها:

- أنا مش زيك عشان أحط نفسي مكانك، حد قالك إن أنا واطية زيك؟

- احترمي نفسك

حينها فقدت دنيا التحكم في لجام أعصابها فارتفع صوتها عاليًا كأنها تخرج كل ما بداخلها من غضب في وجهه:

- إنت جاي هنا ليه؟ جيت عشان تخليني أقولك إنك أكتر حد حقير شفته ف حياتي؟ جيت عشان أعرفك إنك أقل من الحشرة ولا جيت عشان تتأكد إنك خلاص دمرتني؟ أحب أقولك إنك فعلاً دمرتني ونجحت فـ دا بس أنا وجودي هنا أهون عليا ألف مرة من أني أكون واحدة زيك

- أنا جيت عشان أطمن عليكي وأشوف لو هقدر أعملك حاجة فإهدي عشان نعرف نتكلم ...

- متقوليش إهدي عشان إنت هنا فمصحة نفسية لو مش واخد بالك، وكمان أنا مليش كلام مع واحد حيوان و واطي زيك، إنت عارف إنت إيه فنظري؟ إنت قبل ما تكسرني شوهت صورتك جوايا

هم بأن يرد عليها لكنها أكملت حديثها دون أن تعطي اهتمامًا لما كان سيقوله ولكن هذه المرة اخترق ارتفاع صوتها جدران الغرفة:

- أنا لازم أعتذرلك عشان ف يوم كنت شايفاك راجل وانتم مفيش فيك ريحة الرجولة.

رفع الشاب يده في الهواء ليصفعها على وجهها لكنها أمسكت يده قبل أن تصل إليها ودفعته للخلف حتي ألتصق بخزانه الملابس واقتربت منه بعد أن قيدت يده بكلتا يداها:

- أنت هتعمل إيه؟ فاكرني هسكتلك، لا يا حبيبي دا كان زمان أنا خلاص مبقاش يهمني حاجة، تعرف إن أنا لو قتلتلك هنا محدش هيعرف يعملي حاجة!

ما أنا مجنونة!

قالتها بصراخ حتى اختفى صوتها لكنها أكملت:

- أخرج من هنا ومش عاوزة أشوف وشك د اتاني و وحياة ديني لو شفتك فـ أي مكان تاني هخليك تندم على اليوم اللي عرفتني فيه ... وبرضه محدش هيعملي حاجة، مش قلتلك مجنونة!

ضربت بكلتا يديها على صدره:

- اطلع برا قلتلك ... برا

خرج الشاب من غرفتها والصدمة تغطي ملامح وجهه لما رآه منها.

أما هي فجلست على الأرض في مكانها تلقف الهواء كأنها كانت تعدو لسنوات وليس لساعات حتى.

أخذ صدرها يعلو وينخفض ويمكنك أن تسمع صوت شهيقها من خارج الغرفة، ظلت على هذه الحالة لفترة لا تعلم مدتها حتى هدأت قليلاً وانتظمت دقات قلبها فتحاملت على قدماها حتى وصلت إلى سريرها بأعجوبة وألقت بجسدها فوقه، ظنت أن ما مضى كان سئ لكن القادم كان أسوأ ... فما إن رأت ذاك الجرح في كفها ظلت محدقة به للحظات ثم أخذت تصرخ بهيستيريا وكفها معلق أمام عيناها.

دوى صوت صراخها في الردهة فاقتحم الغرفة سيل من الممرضات حاولوا السيطرة على جسدها المتشنج الذي لا يقبل أي محاولة منهم لتثبيته، كانت دنيا أيضًا لا تستطيع السيطرة على جسدها وصرخاتها إلى أن ارتخت عضلاتها، أظلمت عيناها واختفى كل شيء ... أغمضت عيناها رغمًا عنها بسبب حقنه المهدئ التي غرستها الممرضه في ذراعها لكنها ولأول مرة منذ أن اشتم جسدها

رائحة تلك المصحة تنام بعمق ...
مر اليوم بأكمله ودنيا تحت تأثير المخدر الذي ضخته الممرضات في عروقها للسيطرة على تلك الحالة التي لم تظهر عليها مسبقًا، أما باسم فقضى يومه يتردد عليها بين الحين والآخر ليطمئن على حالتها وفي حقيقة الأمر أن باسم هو من سمح لهذا الزائر أن يراها وأمر الممرضات بعدم التدخل دون أوامره وكان هذا لغرضًا في نفسه ولأنه رأى أن هناك بقعة أمل ستنبض من خلف هذه الزيارة، لم يكن ليضحي بسلامتها دون هدف يسعى للوصول إليه ونتيجة مضمونة، فقد كان على يقين أن ما سيأتي خلف هذه الزيارة سيختلف تمامًا عن ما كان قبلها . .. وقد كان له ما أراد.
هل زرت يومًا مكان وراودك إحساس أنك رأيته من قبل؟
لكنه ليس مجرد إحساس فهي رأت هذا المكان من قبل لكن لا تعلم أين أو متى، كل ما يدركه عقلها أنها في منتصف البحر على متن سفينة لا تراها ... ربما لا توجد سفينة لكنها كانت في منتصف البحر بين ضفتين إحداهما مظلمة وموحشة وإحداهما تشق ظلمتها أشعة نور تضئ البحر أمامها.
أما هي فكانت بين الضفتين لا تعلم إلى أين ستتجه لكن سرعان ما سطع ضوء قوي فجأة جعلها تفتح عيناها بسرعة لترى دنيا ملامح الغرفة من حولها فأدركت أنها كانت تغوص بين أحلامها كالعادة لكنها هذه المرة قد زارت ذات المكان للمرة الثانية، ففي أول مرة كانت المياه تغطي قدماها على الضفة المظلمة أما الآن فهي في عرض البحر بين الوجهتين، حاولت أن تتذكر منذ متى وهي غارقة في هذا السبات لكنها لم تنجح حتى جاء طبيبها الذي لا يتركها أبدًا:
- طمنيني عاملة إيه دلوقتي؟
أجابته بهدوء مختلف عن حالتها السابقة تمامًا:
- كويسة الحمد لله ... أنا بقالي قد إيه نايمة كدا؟
- يومين بس ... كان لازم تنامي اليومين دول عشان تهدي خالص
ابتسمت قليلاً وقالت له:
- أقولك حاجة مش هتصدقها.

نظر بطرف عينه وقال:
- هتقولي إنك حاسة بإنك أحسن كتير دلوقتي
نظرت له باندهاش قائلة:
- عرفت منين!
- رغم إنك مش مقتنعة أني دكتور بس أنا هفهمك ... بصي يا دنيا ...
كانت حقًا تحتاج لأن تستمع لأحدًا على دراية بما في داخلها فأنصتت له.
- لما تحبي تقفلي موضوع أو تتخلصي منه لازم تخلصيه جواكي الأول
- يعني إيه؟
- يعني مفيش مشكلة ينفع تتقفل إلا بعد ما تكوني قلتي كل الكلام اللي جواكي عنا، عملتي رد الفعل اللي نفسك تعمليه وقلتي كل كلمة كانت فـ بالك ... فاهمة حاجة؟
- شوية
- أفهمك أكتر ... لما يحصلك موقف مش هتحسي براحة غير لما تواجهي خصمك وتقولي كل اللي جواكي. هترتاحي والموضوع هيتقفل تمامًا ... عارفة يا دنيا ... ناس كتير أوي مش فاهمة الموضوع دا ... فاكرة إنها لما تبطل تفكر في المشكلة وتنساها هتبقى خلاص اتحلت ودا غلط، الحقيقة بقى إننا لما بنواجه ونعاتب بنرتاح أيًا كانت النتيجة و بنحس أن في حمل تقيل أوي راح وننسى أنه كان موجود أصلاً.
- إيه الفرق بقى لو كدا كدا هننسى
- فرق كبير أوي بين اللي قاصد ينسى نفسه وبين اللي نسي عشان ارتاح من الحمل، اللي بينسى نفسه المشكلة ويتجاهلها هيجيله يوم ويقابلها تاني بس هيكون خلاص معاد التصرف فات و المشكله دي أثرت ف روحه
النسيان نعمة كبيرة أوي يا دنيا بس لازم قبل ما تنسى تكون واجهت ... مش هربت
- أنا حسيت بطاقة فظيعة جوايا ومقدرتش أستحمل أكتر من كدا وانفجرت فيه.

- عشان كدا بقولك إنك بقيتي أحسن عشان واجهتي أكبر وجع فحياتك ودا معناه إن الحتة العايشة اللي جواكي بتحارب عشان متموتش.
نظرت له بابتسامة رضا وارتياح ف لأول مرة تشعر بهذا الأمل يدب بداخلها وبهذه القوة تتغلغل في أعماق روحها ولأول مرة تدرك أن القوة وليدة المواجهة.
شعر باسم أيضًا أنه أدرك ما أراد وأنها على أعتاب أول خطواتها نحو الشفاء بعد أن تغلبت على أحد أكبر أوجاعها وقريبًا سيندثر تمامًا.
لطالما آمن أن الألم يولد الضعف، لكن عندما تأتي لك الفرصة لتمتلك القوة فسوف تبتلع كل الآلام كأنها لم تكن داخلك ذات يوم.
- على فكرة يا دنيا في حد سأل عليكي كذا مرة وكان عاوز يطمن عليكي
قالت له دنيا بضحك:
- لأ مش ناوية أضرب حد تاني الأسبوع دا
ضحك باسم عندما رآها تمزح على غير عادتها:
- هههههه لا مش خناقة تاني ... دا واحد مامته عندنا هنا في قسم الزهايمر كان موجود معايا لما الممرضة قالتلي من يومين إنك تعبانة وطردتي الشاب اللي كان عندك، فـ سمع صوتك وانتي بتصرخي وجه معايا عشان يطمن عليكي وسألني عنك كذا مرة
أطرقت لحظات وقالت له:
- قوله دي مدمنة وبتتعالج
- تصدقي فكرة برضه .. يالا انزلي عشام تاكلي.
خرج وتركها بحالٍ جديد يأمل أن يدوم، خرج على أمل أن تتعلق بعود القش الذي سينقذها من الغرق في بحار الوحدة، بدلت دنيا ملابسها واتجهت إلى حيث تجلس مع صديقتها المسلية -نسمة- لكنها لم تجدها لسوء الحظ فجلست منزوية في أحد الأركان تراقب من بعيد، تراقب رفرفة الطيور في السماء وتغير أشكال السحاب، تراقب نظرات النزلاء وهمهماتهم وكل منهم سابح في ملكوته الخاص، كان مظهرها الخارجي لا يعبر نهائيًا عن الفوضى التي بداخلها، أخذت تقارن بين كل شيء.

تقارن بين ما كانت عليه وما توصلت إليه، تقارن بين عشرات الشخصيات الذين تجسدوا فيها خلال حياتها، فجميعنا كذلك، إذا مررت على خزائن ذاكرتك ستجد أنك اليوم شخص لا يعرف نفسك الماضية ولن يعرف نفسه القادمة، كل ما تمر به يجعلك شخصًا آخر لم تره سابقًا ولن تراه لاحقًا.

فالإنسان الواحد عبارة عن مجموعة أشخاص لا تعرف بعضها البعض، لكل منهم دور محدد يؤديه ويرحل لكن أبدًا لن يلتقوا ...

جلست تتابع كل ما يحدث حولها وفي رأسها يدق ألف سؤالٍ لا تعرف لهم إجابة.

بدأت التفتيش في خبايا حياتها محاولة المواجهة كما أخبرها طبيبها الماهر، لكن كلما تخوض في الذكريات تجد أسئلة لا تنتهي.

محير هو التفكير الذي يتبع سؤال يبدأ بـ (لماذا) فلطالما ظل السؤال قائم ولطالما بقيت الإجابة مجهولة.

اخترق أحدهم هالة السكون المحيطة بها واقترب منها كثيرًا لكنها لم تنتبه إليه وحتى لو انتبهت فلن تنظر صوبه حتى لا تخرج من حالة التأمل تلك. ربما يكون أحد العاملين في المصحة أو حتى وإن كان رئيس الوزراء فهي ترى أن لا أحد يستحق أن ينتشيها من تأملها بعدما لمست أول خيوط التفكير.

- آنسة دنيا؟

سمعت صوته لكنها لم تميز كلماته أو حتى هو صوت رجل أم امرأة بسبب هالة الحماية الكونية المحيطة بها فكرر كلماته على مسمعيها:

- آنسة دنيا ازيك

سمعت دنيا كلماته بوضوح هذه المرة فنظرت إليه متوقعة أن ترى أحد العاملين يعطيها حبوب الدواء التي مازالت تشعر أنها حبوب لعلاج الحموضة أو مسكنه لآلام الأسنان لكن خاب ظنها:

- الحمد لله مين حضرتك

- أنا كريم ممدوح

أطالت دنيا النظر إليه منتظرة منه أن يكمل تعريفه لنفسه لكنها شعرت

بالإحراج عندما لم يستكمل حديثه فأجابت:
- أهلاً بيك اتفضل
كان شابًا طويل القامة، كثيف الشعر، بشرته تمتلك شيئًا من السمرة الجذابة والملامح الهادئة.
جلس على المقعد المواجهة لها وقال:
- أنا مامتي هنا في المستشفى وكنت موجود من يومين وشوفتك في الجنينة وكانت أول مرة ألاحظ وجودك شكلك جيتي قريب
أطرقت للحظات ثم أجابت:
-أاه بقالي حوالي شهر ونص
- ياه أنا بقالي هنا سنين
استغربت دنيا لما قاله هذا الشاب فسألته:
- مش قلت إن مامتك هي اللي معانا في المصحة؟
زفر كل الهواء الذي في صدره ثم قال لها:
- أنا مامتي هنا بقالها سبع سنين وأنا والدي متوفي ومعنديش إخوات يعني ماما ملهاش غيري في الدنيا، من يوم ما دخلت هنا وأنا قررت مبعدش عنها أبدًا وبزورها كل يوم، مقيم هنا بمعنى أصح
- غريبة أوي
- إيه اللي غريبة؟
- إنك تسيب حياتك كلها عشان حد إنت بتحبه
ابتسم لأنه شعر بتجاوبها معه في الحديث:
- كل واحد فينا عنده حاجة أو حد بيمثله السعادة اللي فحياته، وأنا مليش في الدنيا غير امي وهي أحسن حاجة فحياتي، ويبقى مجنون اللي ميسبش الدنيا كلها ورا ضهره ويجري ورا حد بيحبه.
شعرت بقرب كلماته من قلبها ففكرة قليلاً ثم قالت:
- ولو معندوش الحد دا؟
- يدور عليه لحد ما يلاقيه، يدور فكل الناس اللي خلقهم ربنا لحد ما هيتكعبل

في الحد دا غصب عنه، ساعتها هيتأكد أن تعويض ربنا كله موجود في الحد دا، إن دا الصح اللي بنستعد له من زمان
لم تفهم آخر ما قاله كريم فسألته:
- يعني إيه بنستعدله من زمان؟
تنحنح بأسلوب -أسامة منير- وقال:
- يعني كل حد غلط بنقابله في حياتنا بيكون تعليم لينا وتهيئ لمقابلة الحد الصح، وفي كل مرة بنغلط وبنجرب بتتكون حتة في شخصيتنا مستعدة لمقابلة الناس الصح، كل غلط وكل مرة بنقع فيها بتكون خطوة أقرب للراحة، بمعنى أصح الناس الغلط بتعرفنا إحنا قد إيه محتاجين للناس الصح.
كان من المفترض أن يكمل جملته قائلاً -بكل الحب هنكمل حلقتنا النهاردة مع ... أسامة منير-
لكن في هذه المرة سيقول -مع .. كريم ممدوح-
صمتت لتفكر فيما قاله بتعجب.
صمتت للحظات طالت ثم أخيرًا أفرجت عن كلماتها:
-أنا أول مرة أسمع الكلام دا من حد
- ومش هتسمعي!
قالها ممسكًا بياقة قميصه فرفعت هي حاجبها وقالت:
- دا غرور؟
ضحك وقال:
- لا دي تناكة مش أكتر
ضحكت كثيرًا فتهللت أساريره ثم استطرد:
- بس أنا مقتنع ب كدا جدًا، إن كل خطوة غلط بنعملها هتقربنا للصح
عقدت دنيا حاجبها وقالت:
- في حاجة!
رفع هو الآخر حاجباه مقلدًا لها:
- إيه!

- أنا اتكلمت معاك كتير وأنا معرفكش ودي مش عادة عندي.
ضحك كريم قال بمزاح:
- يا شيخة صلي على النبي دي كلها شكليات
ضحك الاثنان بصوت مرتفع وظلا يتحدثان كثيرًا في الحديقة التي شهدت بشرة أن تطرح زهرة صداقة جديدة بجانب زهرة صداقتها بـ -باسم- و -نسمة- لكنها زهرة تنمو سريعًا وبدون مقمات.
فصحراء حياتنا مليئة بالصخور لكن قد يحدث وتنبت بين شقوقها الزهور.
وفي ذات التوقيت في الحديقة جلس شادي في وقت راحته بعد يوم شاق من العمل، جلس على مقربة منهما منهمكا في هواياته المفضلة مثل تناول الأطعمة والغناء والقراءة التي كانت المحببة إلى قلبه بينهم.

-من بين آلاف الأقمار يختار الكوكب واحدًا منهم فقط ليكون قمره ولا يخرج عن مداره.
فلا تقترب إلا لمن تربطك بهم علاقة جاذبية

من قال أن النساء جميعهن منظمات فقد ظلم النساء.
أما هي فقد ضربت بجميع قواعد النظام عرض الحائط بعشقها للفوضى المسيطرة على غرفتها، تكدس الملابس داخل خزانتها وخارجها أيضًا، تهوى الأقلام والأوراق المبعثرة فوق مكتبها.
هناك الكثيرات يفضلن احتضان الدمى أثناء نومهن أما هي فنومتها المفضلة بين الأوراق والأقلام التي تغطي كل شبر على سريرها.
لا تشعر بالألفة إلا في نومتها بجانب أدواتها التي تستخدمها لتجسد أفكارها على هيئة أعمال مسرحية يتحدث عنها كل من شاهدها، تهوى النوم بين أفكارها المبعثرة وأحداثها المتناثرة، تشعر أنها تغط في نومٍ عميق بداخل ذكرياتها، فهي لا تكتب من عقلها فقط، بل تغوص في كل الغرف المغلقة بداخلها وتعيد مشاهدة كل شيء مرة أخرى وتصيغه بأسلوب إبداعي.
هي لا تفعل شيء سوى أنها تخرج ما أغلقت عيله قلبها لسنوات، تقول كلمات لطالما صمتت عنها وخنقت حلقها. لطالما آمنت هي أن الإبداع ما هو إلا تخليد لمشاهد في حياة الإنسان ...
وآمنت أيضًا أنها صياغة جديدة يعبر بها الإنسان عن ألمه، فمن كان له الألم خير معلم يستطيع أن يدرك أكثر من ما يدركه الآخرون ... يرى ما لا يرونه وتتكون عنده أبعاد أخرى للإدراك ويتحول ألمه لعين تستطيع تحليل العالم من حوله لوجهات نظر جديدة.
وكما تنبت الزهرة من بين شقوق الطريق ... من قلب الألم ينبت الإبداع، فلن ترى مبدعًا بحق إلا وكان قد حصل في حياته على قدر كبير من الآلام فأصبح يملك بداخله غرفة مظلمة تحرك غرائزه الإبداعية وتسير وجهات نظره فكل مبدعٍ متألم وليس كل متألم مبدع.
ليس كل من تألم استطاع أن يعبر عن ألمه وأن يصيغه بشكل جديد، ومن استطاع ذلك ... امتلك قوة لا يستهان بها.
لم يكذب من قال أن الإبداع ابن الألم.
استيقظت مليكة من بين فوضتها الدائمة لتخرج وتطمئن على والدتها، السيدة

فريدة الحشاش التي لا تنكسر لها أنف، ألم أقل لك أن من يأمن مكر الأيام ما هو إلا ساذج؟ فقد طغى الزمان مرة أخرى على السيدة فريدة وتدهورت حالتها كثيرًا في السنة الماضية، أصيبت بجلطة في شريان في القلب وخضعت لعملية جراحية نجت منها بأعجوبة ومن حينها لم تعد فريدة كما كانت، تدهورت صحتها وأصبحت مريضة قلب ولا تفعل شيء بدون حساب.

لكن هيهات أن تنكسر فريدة أو تستسلم لمرض ... أو لعلبة دواء أيضًا ...

لا تحب أن تأخذ الدواء حتى لا تعترف أمام ذاتها أنها مرضت ولكي تظل أمام -مليكة- عمود البيت الذي لا يهتز تحت أي ظروف.

وقد كان هذا من الأمور التي لا تخفي من بال -مليكة-، فيجب عليها مراقبة تناول والدتها للدواء والأصناف التي تتناولها على كل وجبة والقيام بكل الأعمال المنزلية لترتاح والدتها، ولو استطاعت أيضًا أن تظل تحت قدميها من يومنا هذا وحتى قيام الساعة لفعلت ذلك إرضاءً لها.

فـ -فريدة- ليست والدتها فقط! إنها كل شيء لها في الحياة، تفعل كل ما تستطيع حتى لا ترى في عينيها نظرة الانكسار التي رأتها يوم الطلاق، تقضي يومها كله وهي تشتاق العودة إلى المنزل لتنهل من حنان أمها وأمنها.

وصلت مليكة لغرفة والدتها وأيقظتها لتتناولا الإفطار الذي أعدته مليكة سويًا.

انتهيا من تناول الإفطار في غضون ربع ساعة ثم جاء الوقت الأصعب في كل يوم.

- يالا يا ماما أنا جبتلك الدوا

نظرت لها فريدة بملل وقالت:

- انتي ليه مش بتنسي؟

غمزت لها مليكة بابتسامة:

- أنا أقدر أنساكي برضه يا ديدا

- بتكلم بجد ... يا بنتي كلام الدكاترة دا كله كلام فاضي وأنا قدامك زي الفل أهو

- يبقى لازم تاخدي الدوا عشان تفضلي ديمًا زي الفل.

نظرت لها فريدة ولم تنطق فجلست مليكة على الأرض أمام والدتها ونظرت لها نظرة حانية وقالت:

- يا ماما أنا مش بحب أضايقك بس لو مش خايفة على نفسك خافي عليا أنا من التعب.
- بعد الشر عليكي يا بنتي تعب إيه؟
- أيوا يا ماما خافي عليا ... خافي عليا من تعبك وخافي عليا من أي لحظة هاعيشها وانتي تعبانة
صمتت قليلاً ثم أردفت:
- يا ماما أنا مليش أب ولا أخوات يعني مليش غيرك وعمري ما هيكون ليا غيرك ف خافي على نفسك عشان أنا عايشة بيكي انتي ولو حصلك حاجة أنا هموت
ضعفت مليكة وخانتها عبراتها فسقطت على وجنتيها فمدت فريدة يدها وربتت على وجه زهرتها الصغيرة:
- ربنا يعلم أني عايشة بس عشان أشوفك مبسوطة، ولما تخلفي هتعرفي معنى كلامي دا كويس
- ومين نقالك إني هتجوز أصلاً أو هسيبك!
أمسكت مليكة بيد والدتها وقبلتها وأردفت:
- أنا هفضل معاكي هنا على طول
ابتسمت فريدة في أسى فهي تعلم أنه حلم صعب المنال بسبب خوف ابنتها من كل من ينتمي لقبيلة -أنور- الذي تحول لنفور من كل من يحاول التقرب لها، و مؤخرا أدركت فريدة نادمه انها لها الفضل الأول في ذلك لكنها أيضًا تتمنى أن تحمل على يديها ابن أو ابنة لمليكة، لترى إنتاج زهرتها ويحمل اسم عائلة الحشاش.
مدت مليكة يدها بقرص الدواء لوالدتها فابتسمت الأخرى وأخذته من يدها ووضعته في فمها ليرتاح قلب ابنتها الصغير وتطمئن، وبالفعل اطمئنت مليكة قليلاً وغيرت ملابسها سريعًا لتذهب للجامعة.
فاليوم سيخبرها أحمد برأيه في مسرحيتها الجديدة التي أتمت كتابتها و عرضتها عليه.
خرجت مليكة من المنزل تاركة قلبها بين يدي والدتها لتذهب لمقصدها اليومي،

في غضون ساعة واحدة وصلت مليكة للكلية برفقة فاطمة كالعادة، وكعادتهم اليومية ذهبت فاطمة للقاء معتز وذهبت مليكة لمقابلة أحمد في الكافيتريا.
اقتربت من الكافيتريا بخطوات بطيئة لكنها لم تكن تعلم أنها تسير على مهلٍ فوق صمامات قلبه الضعيفة، لم تكن تعلم أن كل خطوة تخطوها تسقط أمامها حبة عرق من فوق جبينه الأبيض، حتى وصلت إلى حيث يجلس لترحمه من توتره ومن تتابع شهقاته.
هلت عليه مشرقة كعادتها فإبتلع ريقه وقال مرحبًا بها:
- ازيك يا كوكي
ضحكت على أثر كلمته وأكملت:
- هههه إيه كوكي دي؟
اضطرب أحمد وتلجلجت كلماته وقال:
- هو ... هو وحش؟ مش عاجبك؟
فتذكرت مليكة أن أحمد مازال مضطرب قليلاً فلحقته قائلة:
- لا لأ دي جميلة خالص
هدأت ملامحه قليلاً وقال:
- حلو لون شعرك الجديد ... أنا بحب اللون الأصفر
- شكرًا ... أنا ديمًا بحب أجدد وأصبغه
- مش ... مش محتاجة تجددي أنتي حلوة من غير حاجة
تعجبت مليكة من طريقة أحمد في الكلام التي لم تعتادها منه ولم تجد ما ترد به فاستطرد قائلاً:
- غمضي عينيكي ممكن؟
- ليه؟
- عندي ليكي مفاجأة ... غمضي بس
زادت حيرتها وتعجبها لكنها انساقت لرغبته حتى لا تضغط عليه وأغمضت عيناها، قام أحمد من موضعه أمامها وأخرج حقيبة كانت مختبأة أسفل المقعد ثم جلس مكانه مرة أخرى وأخرج من الحقيبة زهور وعلبه مغلقة.

تنحنح ومسح جبينه الذي يتصبب عرقًا بكلتا يديه وأخذ صدره بالارتفاع والهبوط في توتر لكن مليكة قررت أن تكسر هذا الصمت بقولها:
- انت نمت يا عم ولا إيه؟
تنحنح أحمد وعدل هندامه وقال:
- لا خلاص ... فتحي عينيكي
فتحت مليكة عيناها ببطء لتجد ما جعلها مشدوهه وأوقف الكلمات في حلقها، ظلت محدقة لأحمد ولما بين يديه للحظات تمنت فيها ألف مرة أن يخيب الله ظنها ويكذب شكوكها، جمعت قواها المشتتة وسألت بصوت خفض مرتعش:
- إيـ ... إيه دا؟
ابتسم أحمد بحنو وقال:
- مليكة انتي أكتر حد ساعدني فحياتي وغيرتيني كتير أوي ونصحتيني أني أقرب من الناس أكتر وأنا قررت أعمل بنصيحتك.
تلجلجت مليكة وردت بصوتٍ قارب على الاختفاء:
- يعني إيه؟
مسح أحمد حبيبات عرقه الهاربة للمرة الألف بمنديل اهترأ من كثر استخدامه وابتسم ابتسامة واسعة أظهرت صفين أسنانه كاملين وقال:
- يعني أنا قررت أني أقرب من أكتر حد ساعدني، قررت أنك تكوني أقرب حد ليا و...
صمت لحظات اعتصر فيها قلب مليكة واستطرد:
- أنا قررت إني هاجي أتقدملك
شهقت مليكة شهقة عالية من أثر الصدمة وتهدجت أنفاسها فأكمل أحمد:
-أنا ... أنا بحبك يا كوكي
ظلت مليكة تشهق كأنها تبحث عن الهواء ولا تجده، وعلى عكس طبيعتها أغرورقت عيناها بالدموع وقالت بصوت خرج بصعوبة بالغة:
- مينفعش يا أحمد
ظهر على وجهه الوجوم وقال:

- مينفعش ليه بس؟ بصي أنا جايبلك ورد وسلسلة فضة عليها اسمك
لم تتمالك مليكة نفسها فسالت الدموع من عيناها ولم تستطع النطق بل اكتفت بالنظر إليه.
اهتزت ساقه من أثر توتر ملحوظ وتصبب عرقًا وقال:
- مليكة انتي أكيد بتهزري ... بتهزري صح؟
هزت رأسها من بين دموعها أن لا فقال:
- مش ... مش انتي قولتيلي أني لازم أقرب من الناس وعلمتيني أعمل كل حاجة؟ إزاي بتقوليلي ... بتقوليلي مينفعش؟
جمعت مليكة قواها وحاولت تمالك نفسها وقالت بصوت متهدج:
- أحمد أنا مش عارفة أقولك إيه بس ...
قاطعها أحمد وقال بكلماتٍ متقطعة حيث أنه عند توتره لا يحكم نطق الكلمات:
- بس إيه! إنتي عملتي كل حاجة عشاني
- أنا كنت معتبراك صاحبي وأخويا وكنت بعمل كدا عشان كنت صديق يستحق المساعدة بس مفيش أكتر من كدا
زاد توتره وأخذ يلقف الهواء ويحرك قدماه وقال:
- طب انا زعلتك في حاجة؟ كل حاجة عملتيها معايا كانت بتقول غير كدا
- أنا كنت بعمل كدا بدافع المساعدة زي ما المدرسة بتساعد الطالب والدكتور بيساعد المريض ومينفعش حد فيهم يحب التاني، واحنا كنا شبه كدا أوي
اصفر وجهه كأن لم تسري فيه الدماء يومًا:
- مم ... مريض ... أنتي كنتي بتعاملليني على أني مريض!
ارتفع صوتها بالبكاء وقالت بصوت مرتعش:
- لا أنا مقولتش كدا انت بس فهمت غلط وانت تستاهل حد أحسن مني بكتير لكن أنا مينفعش
صدقني انا منفعش ليك أو لغيرك وكلها كام يوم وتنسى وهتحب واحدة غيري
نظر لها بعينين زائغتين وتحدث بصوت متقطع وكلمات غير مكتملة:

- إزاي! إزاي هتمشي كدا! ليه تسيبيني بعد كل دا! ليه انتي اللي تموتيني بعدما علمتيني إزاي أعيش! ليه يا مليكة

ارتفع صوت بكائها وغطت الدموع ملامح وجهها وهي تستمع لكلماته:

- دا أنا كنت أعمى وانتي اللي خرجتيني للنور ... يا ريتك سيبتيني في الضلمة يا مليكة ...

وبتقوليلي أحب غيرك، طب إزاي أحب غيرك، إذا كان اللي علمتني أقرب من الناس هتبعد عني يبقى أقرب من غيرها إزاي؟ يا ريتك سيبتيني في الضلمة يا مليكة

انهارت مليكة من البكاء لسماعها كلماته التي تنبض بوجع فاق إحتماله

وضع أحمد رأسه على الطاولة وأخذ يبكى ويرد:

- يا ريتك سبتيني أعمى ...

انهمرت الدموع من عيناها بغزارة تدل على أنها لن تتحمل أكثر من هذا.

قامت مسرعة وتركت الطاولة، ركضت مسرعة صوب باب الخروج من الجامعة، ركضت ولم تنتبه لأحد ولا حتي ل علا التي جرت خلفها لكن مليكة أسرعت وخرجت من الجامعة وظلت تركض بين المارة ولم تهتم بتفاديهم بل واصطدمت في أكثرهم، ركضت والدموع في عينيها والحسرة في نفسها وألف سكين ساكنة في قلبها.

ركضت حتى أدركت المحطة التي تستقل منها المواصلات واستقلت أول تاكسي وجدته حتى تكون بمفردها ولا ترى أحدًا، يكفيها ما بداخلها من أوجاع تحولت لبكاءٍ لا يتوقف.

فيد العون التي مددتها يومًا لأحدهم قد تتحول لخنجر له نصلان، ينغرس أحدهما في قلبه والآخر يستقر في صمامات قلبك

وصلت لمنزلها وبكائها لم يتوقف ...

صعدت لشقتها وبكائها لم يتوقف ...

ركضت مسرعة صوب غرفتها كي لا تراها والدتها لكنها نسيت أن والدتها مازالت فريدة الحشاش التي لا يخفى عنها شيئًا، نادتها والدتها التي رأتها تتجه للغرفة:

- مليكة! في إيه يا حبيبتي؟
-هاهدى بس يا ماما وأحكيلك
- طب انتي كويسة؟
- الحمد لله ...
قالتها من بين تنهداتها ودخلت غرفتها ووصدت الباب من خلفها، كانت ستلقي نفسها فوق سريرها لولا تلك الفوضى التي تغطي السرير. لأول مرة في حياتها تكره فوضتها التي تنام بينها ...
أزاحت بيدها كل ما كان فوق السرير في عصبية فوقع كل شيء على أرض الغرفة ودوى صوت كسر شيء زجاجي ربما كانت هناك زجاجة فوق السرير أو ربما هذا صوت تحطيم قلب صديقها الذي كسرته لتوها.
ألقت بنفسها فوق السرير وخبأت وجهها بين وسائدها لكنها لم تتوقف عن البكاء!
وكانت تعلم أن هناك قلبًا آخر أبدًا لن يتوقف عن البكاء!
مرت ثلاث ساعات على مليكة داخل غرفتها المظلمة وفريدة تدخل لتطمئن عليها كل نصف ساعة تقريبًا.
حتي رن جرس الباب رنات متلاحقة وسريعة أخرجت مليكة من شرودها في غرفتها لكنها زفرت بقوة حينما فتحت والدتها الباب وسمعت صوت فاطمة منقذتها والركن الهادئ الذي لا تلجأ لمكان سواه.
- طنط فريدة مليكة مالها!
كانت فاطمة تلقف الهواء كأنها صعدت الدرج كله ركضًا
- مش عارفة يا بنتي أنا قلت أنتي اللي هتكوني عارفة
- لأ هي مطلعتش المحاضرة معايا و لما خلصت علا قالتلي إنها خرجت من الكلية جري وبتعيط
- يا حبيبتي! استر يا رب
- هي فين!
- قافلة على نفسها الأوضة من الصبح

ركضت فاطمة صوب باب الغرفة وفتحته دون استئذان وأشعلت النور في الغرفة لترى صديقتها متكورة فوق سريرها فركضت نحوها وجلست بجانبها وضمتها لحضنها بحنانٍ بالغ يدل على قوة الصداقة التي تربطهم ببعضهم.
جميل هو ذلك الصديق الذي إذا وجدك تغرق بين موجات الألم لا يسألك عن تفاصيل أو أسباب، بل يكتفي باحتضانك فقط حتى تملأ احتياجك من الأمان ثم تتحدث كما شيء‌ت، فهو يعلم أن صدرك يختلج بكلمات لن تخرج إلا إليه ...
كم نادرة هي تلك الراحة التي لا تأتي إلا من حضن صديقٍ يعلم ما ستقوله قبل أن تنبث بكلمة.
فقد فطركم الله في جسدين لكن منحكما قلبًا واحدًا.
هدأت مليكة قليلاً بين حنان صديقتها واحتوائها ثم قصت عليها ما حدث مع أحمد. قصت كيف ألمته كلماتها وكيف انفطر قلبها لكسرته.
- طيب يا حبيبتي انتي ذنبك إيه بس؟
- ذنبي اني جرحته
- تبقى جرحتيه لو كنتي كذبتي عليه وقولتيله إنك بتحبيه وبعدين سبتيه ... صدقيني إنك تصارحيه من الأول أحسن كتير من إنك تكذبي عليه، على الأقل هو دلوقتي احترمك لكن لو كنتي كذبتي وخدعتيه كنتي هتجرحيه وكان هيكرهك
لم تجب مليكة بل واستمرت في البكاء بحرقة فربتت فاطمة علي ظهرها وقالت لها:
- يا مليكة إنتي ملكيش ذنب خالص
مسحت مليكة دموعها وقالت بصوت مرتفع تشوبه بحة البكاء:
- أومال ذنب مين! في حاجات الشخص المذنب أو البايع فيها بيكون معروف، لكن دلوقتي مين الغلطان فينا؟ هو عشان حبني ولا أنا عشان محستش بيه؟ ديمًا كل حاجة حلوة بتتقلب في ثانية ونفضل نرمي على بعض اتهامات، مين خان ولا مين باع، مين صح ومين غلط؟ وديمًا مفيش إجابات.
طب مين اتوجع؟ كلنا اتوجعنا ... وبيفضل المذنب مجهول لكن النتيجة واحدة، اللي قلبه اسود عاش ملعون بيه واللي قلبه أبيض اتوجع بيه.

هدأت ثورتها قليلاً فأكملت بصوتٍ خفيض:
- لا اللي حب وصل للي بيحبو ولا اللي محبش مرتاح
أشفقت فاطمة على صديقتها كثيرًا وأشفقت على أحمد أيضًا، فلكل منهما قلب طيب ورقيق يعتصر إذا تألم أحدهم.
فهناك من عانى في حياته فتمنى لو أن كل البشر معذبين، وهناك من تألم فأشفق على كل من حوله من وطأة العذاب، ظلت فاطمة بجانبها تهدئ من روعها وتطمئنها وقصت ما حدث على فريدة أيضًا حتى تطمئنها على ابنتها ففرحت كثيرًا بأن زهرتها أينعت بيضاء القلب ورقيقة.
وعندما حل الليل رفضت فاطمة أن تترك صديقتها حزينة فطلبت من زوجة عمها أن تسمح لها بقضاء ليلتها في منزل جارتهم فوافقت منار على الفور.
فذات الصديق الذي يجلب لك الراحة هو من سيترك كل ما خلفه ليشعرك بوجوده وبأنك لست وحدك، فهو يعلم أن وجوده يجلب لقلبك السكينة.
بقيت فاطمة بجانب صديقتها حتى غاصت في النوم ثم خرجت إلى الشرفة لتتحدث مع معتز في المحمول.
طمأنته على نفسها وسألت عن أحواله فسألها عن مليكة وعن ما قالته علا عنها أمامه فأخبرته بما حدث:
- معتز، هو ممكن احنا كمان يحصل بينا كدا؟
جائها الرد من الجهة الأخرى:
- إزاي يعني
- يعني أكون هبلة وفاكرة إنك بتحبني وأنت مش بتحبني زي أحمد ومليكة
- انتي اتهبلتي!
- رد عليا يا معتز أنا بجد خايفة
- لا يا حبيبتي متخافيش انتي عارفة إني بحبك وانتي بتحبيتي يبقى مفيش مشكلة ... خليكي واثقة فيا
- انا دايمًا واثقة فيك
- قوليلي بقى يا هانم إزاي تباتي برة من غير ما تقوليلي

- نعم! وانت مالك؟ دا انت يا دوب صديق
- صديق أاه ... طب غوري
- هههههه
- بس متضحكيش كدا في البلاكونة
- انا بجد مليش غيرك يا معتز
- ولا انا يا حبيبتي ... يلا روحي نامي تصبحي على خير
- تصبح علي يوم حلو

كانت تعشق تلك الجمله التي تقولها قبل ان يخلد لنومه في كل ليله..كانت في كل ليله تتمني ان تقول له (و انت من اهلي) لكنها كانت تكتفي بذكر(يوم حلو) علي امل ان يستيقظ يوما و يجدها أصبحت واحده من أهله

أغلقت فاطمة الخط وكانت على قدر كبير من السعادة ففي كل الظروف يظل متز هو سبب فرحتها وضياء حياتها. قبل أن تخرج من الشرفة تذكرة أنها ذات الشرفة التي أخبرت فيها مليكة بما قاله لها سيف منذ سنوات وتذكرت أن سيف لم ينفذ تهديده لها حتى الآن منذ أن رآها مع معتز فراودها شعور بالخوف من سيف وبالخوف على أن يعكر أحدهم صفو علاقتها مع معتز الذي لن تقبل العوض فيه.

عادت مرة أخرى للغرفة ونامت بجانب صديقتها في سريرها، فهذه قلبها يشعر بالذنب وتلك قلبها خائف. فلا أحد ينام وقلبه خال.

-قالوا تسلى عن المحبوب قلت بمن

كيف التسلي وفي الأحشاء نيران

إن التسلي حرام في مذاهبنا فكيف أرضى بكفرٍ بعد إيمانٍ

فشارب الخمر يصحو بعد سكرته وشارب الحب طول العمر سكران ...-

- موال عربي -

- وقد يحدث في العتمة ثقب ينفذ منه النور . . . وقد ينشق الأفق فيتسرب منه الظلام-

ما أجمل الأيام الصعبة التي تمر علينا بجانب من يسعى لراحتنا، وجود أناس يهتمون لأمرنا بجانبنا يخفف من حده الأيام ويلطف من قسوتها.
حتى وإن كانت هذه الأيام بداخل مصحة نفسية!
بداخل مصحة البداية للصحة النفسية توطدت العلاقة بين دنيا وطبيبها الهادئ باسم، صديقتها المرحة نسمة ومؤخرًا زائرها المستمر كريم.
تحسنت حالتها كثيرًا لكن ما زال هناك أخدودٌ عظيم بين ضلوعها لم يلتئم بعد، وكان باسم يعلم أن هذا الأخدود يحتاج لمواجهة قاسية كي يختفي تمامًا لكن وقتها لم يحن بعد.
فرغم تحسن حالتها تظل هنلك حقيقة واحدة تأبى أن تعترف بها أو أن تتعايش معها.
لا يعلم أحد تلك الحقيقة سوى الأطباء والممرضات الذين أخبرهم باسم بها ليتعاملوا معها على أساسها، ومازال باسم ينتظر فرصة المواجهة التي ستشفيها لكن لا يمكنه أن يفعل ذلك بنفسه حتى لا تهتز ثقتها به.
يحتاج أن يشاء القدر ويرسل له فرصة. فرصة واحدة ستسحب عود القش الذي تعلقت به دنيا من البحر.
فرصة تنقذها من الغرق في يم الظلمات.
أشرقت الشمس مرة أخرى وشق ضيائها ظلمة غرفتها فاستيقظت وأسدلت خصلات شعرها الحمراء فوق ظهرها وبدأت في تمشيطها أمام المرآة، ظلت تحدق في ملامحها البادية أمامها وهدأت من حركة يداها الممسكة بالفرشاة حتى استقرت يداها بجانبها واستقرت عيناها على عين صورتها في المرآة.
عيناها تحكي لها ألف حكاية، تذكرها بكل ما حدث، تروي لها كل ما رأته سابقًا، تجعلها ترى ما بداخلها وما يكمن في قلبها بوضوح، عيناها كشريط عرضٍ يظهر أمامها مشاهد الماضي، عين تعرض الماضي وعين ترى الحضر كأنهما شخصان كل منهما في زمن غير الآخر وكل منهم يأبى الالتقاء بالآخر، وبين من ترى الماضي ومن تشاهد الحاضر تقف هي غير قادرة على فهم المستقبل.
فكل ما يكمن بداخلك لا يظهره سوى بوابة زجاجية ... تسمى عيناك.

وقفت تحدث نفسها قائلة:
- دي ملامحك ولا ملامحي؟ صوتك ولا صوتي! يا ترى انتي لسة جوايا؟ ولا أنا اللي محبوسة جواكي؟
قطع تأملاتها صوت أحدهم يفتح الباب ويدخل بعفوية فعلمت قبل أن ترى من الذي دخل أنها نسمة، فتلك الفتاة لم تتعلم أبدًا أن تقرع الأبواب قبل الدخول. تقتحم كل الأبواب دون الاهتمام بتلك الشكليات.
- صباح الفل يا باشا
- صباح الخير يا نسمة عاملة إيه؟
- تمام الحمد لله، كنت هاجيلك امبارح بليل بس قالولي إن عندك حد
- أاه كريم كان عندي
- مش ملاحظة إنه بيجيلك كتير أوي؟
- لا هو مش بيجيلي أنا هو بيجي لمامته وبيعدي يسلم عليا، بس هو ولد محترم جدًا على فكرة وبقينا اصحاب.
ابتسمت نسمة لكلمات صديقتها فأكملت دنيا:
- ربنا يعلم يا نسمة إن وجودك انتي وهو هون عليا كتير أوي
- ولما انتي تمشي أنا هرجع للملل تاني
ظهر الأسى على وجه دنيا فابتسمت وقالت:
- مين قالك إني هخرج وأسيبك أصلاً، بمناسبة الملل مش هتكمليلي حكايتك بقى؟
- نكمل يا ستي ...
أخذت نسمة شهيقًا وعبأت صدرها بالهواء وبدأت في السرد:
- بعد ما سبت التعليم اتحولت حياتي تلقائيًا لجحيم، عمرك ما هتتخيلي حياتي كانت عاملة إزاي؟
عشت حياتي كلها مش عارفة أنا بنته ولا خدامة عند اخواتي الصبيان.
عدى عليا سنين مشوفتش فيها غير حيطان البيت وف يوم أبويا عزم صاحبه عندنا على الغدا، راجل في سن أبويا كدا بس كنت أول مرة أشوفه واستغربت

عشان أبويا عمره ما عزم حد عندنا، لما الراجل مشي أبويا قالي آخر حاجة توقعت إني أسمعها:
- مبروك يا بت
- على إيه يابا؟
- نصيبك جالك أخيرًا
- نصيبي؟ يعني إيه؟
- الحاج مبروك اللي كان عندنا دا طالب القرب مني
اتخضيت وقولتله:
- بس أنا عمري ما شفت ابن الحاج مبروك دا ولا أعرف اسمه إيه؟
ضحك ضحكة خوفتني أوي وبعدين قالي:
- الحاج مبروك مش عاوزك لابنه يا غبية، دا عاوز يتجوزك.
حسيت ساعتها إن روحي بتتسحب مني ومش قادرة أتنفس.
فضلت أعيط وأقوله إني مش موافقة لكن مفيش فايدة
سألتها دنيا وعلامات الأسى تظهر على وجهها:
- وافقي بسهولة كدا؟
- لأ طبعًا ... اترجيته كتير أوي عشان ميوافقش ويسيبني عايشة وسطهم ... مش من حبي فيهم يا دنيا بس مكنتش عاوزة أدفن بالحيا في بيت راجل قد أبويا، بس مين يسمع.
- وبعدين؟
- أبويا قالي ان الحاج مبروك هيدفع مهر كبير وهيعوضه عن السنين اللي صرف عليا فيها.
رفضت وقولتله لأ لأول مرة في حياتي ويارتني ما قولتها.
- حصل إيه؟
- اتخانقت معاه وقولتله أني مش هموت نفسي ومش هعمل حاجة غصب عني تاني
لمعت عينا نسمة بالدموع واستطردت:

- ضربني وشتمني وقالي أني عنده مجرد خدامة وخلاص دوري خلص، رفضت تاني وقولتله إني مش هيبع نفسي عشان الفلوس.
حاربت نسمه والدها ثلاثه أيام من الذل و الإهانه حتي أخبرها انه حدد موعد كتب الكتاب بعد يومان.أخبرته بأنه ظالم و ب أن الله سيحاسبه عليها.جذبها من خصلات شعرها حتي وصل للمطبخ و حرق جلدها بمعلقه ساخنه.كادت صرخاتها أن تحطم زجاج النوافذ لكنه لم يلن قلبه قط إذا كان يمتلك قلبا من الأساس.بل كان يحرقها مجددا كلما صرخت
-بس تعرفي يا دنيا ... مكنتش بصوت من الوجع قد ما كنت بصوت من وجع القلب والذل والقهر.
المهم ... مبروك دفع المهر اللي هيشتريني بيه لأبويا وجه ميعاد الفرح. وقتها كان عندي ١٩ سنة.
يوم فرحي كان جنازة ... صوت الزفة كان صوات بيرن في ودني ... فضلت طول الفرح ساكتة وفي مشهد واحد قدام عيني، مشهد أبويا وهو بيضرب أمي يوم ما ماتت.
خلص الفرح وروحنا شقة مبروك، فضل يتكلم كتير بس مسمعتش ولا كلمة من اللي قالها.
مدرتش بنفسي غير وأنا ماسكة سكينة كانت في طبق الفاكنة وجريت عليه ... قتلته ...
شهقت دنيا شهقه عاليه وقالت وعلامات الصدمة تغطي وجهها:
- قتلتيه!
أجابتها نسمة وقطرات الدموع تتساقط من عيناها:
- مقتلتوش هو لوحده ... قتلت معاه كل الظلم والقهر اللي شوفته، قتلت كرهي لأبويا.قتلت ظلم أخواتي ليا.. قتلت كرهي لكلمة حاضر
- وبعدين؟
- حطوا الحديد في إيدي مع أن أيدي طول عمرها في الكلبشات، كان المفروض يحاسبو اللي قتلني قبل ما أنا أقتل ...

التحقيقات أثبتت أني مكنتش في وعيي وإني عندي مرض نفسي، اتحولت على العباسية واتعالجت هناك سنتين وبعدها سمحولي أكمل العلاج في مصحة خاصة وجيت هنا من ٣ سنين.

- طب وأبوكي واخواتك؟

- مشوفتش حد فيهم من يوم الفرح .و في جمعيه خيريه هي اللي بتدفع مصاريف المستشفى هنا...

بس يا ستي ... هي دي الحكاية

لم تجد دنيا ما تقوله أمام ما سمعته من نسمة، لم تتخيل أبدًا أن هذه الشخصية المرحة تحمل بداخلها كل هذا الحزن وهذه الحكاية التي لا يتحملها قلب.

أدركت نسمة ما يدور بخلد صديقتها فتبدلت ملامح وجهها تمامًا وعادت لإشراقها المعتاد وقالت:

- متزعليش أوي كدا ... أنا هنا أحسن بكتير أوي ومرتاحة، كفاية أني عرفتك يا حلو انت

مدت نسمة يدها وزغزغت صديقتها فأطلقت الأخرى ضحكة عالية لم يوقفها سوى سماع صوت أحدهم يطرق باب الغرفة فأذنت دنيا له بالدخول فإذا بكريم يدخل إلى الغرفة ويلقي التحية على كل منهما. ردت نسمة عليه التحية بنظرة خبيثة لدنيا التي رمقتها كي تصمت.

جلس كريم معهم يتحدثون عن أحوال بعضهم ولم تمض ربع الساعة حتى استأذنت نسمة لتعود لغرفتها تاركة كريم مع دنيا فسألها:

- مالك يا دنيا حاسس إنك مضايقة؟

- مفيش حاجة بس نسمة كانت بتحكيلي عن حياتها، غريبة أوي الدنيا دي ... ممكن يكون حد بيضحك ومبسوط قدامك لكن شايل فـ قلبه كتير أوي

- عمرك ما هتعرفي اللي جوة الناس يا دنيا ...

- كلنا مليانين بلاوي بس المهم إننا في وسط كل دا نلاقي حاجة حلوة نتشعلق فيها وتكون هي السبب اللي يخلينا نعرف نكمل.

قالها مبتسمًا فردت له الابتسامة وقالت:

- ليه جيت بدري كدا؟
- ولا حاجة كنت عند ماما وقولت أعدي عليكي
- هو انت مصاحب كل المرضى كدا؟
- لا خالص دي أول مرة أكلم حد هنا
- يا سلام؟ واشمعنى كلمتني أنا؟
- ينفع حد يسأل كوكب الأرض اشمعنى اخترت القمر عشان يلف حواليك؟
احمرت وجنتاها فشعر كريم ببعض الإحراج فأكمل:
- عشان كدا مينفعش يكون في سبب للصداقة
ابتسمت دنيا وقالت:
- عندك حق ...
بقى كريم معها في الغرفة قرابة الساعتين يتحدثان في كل شيء، حدثها عن كل تفاصيل حياته وأخبرها بأنه يراها شخصية قوية وبداخلها أشياء نادرة الوجود.
ثم رحل بعد أن أكد لها أنها ستتعافى قريبًا لأن رغم كل شيء بداخلها جزء يهوى الحياة.
بعد أن تركها كريم أمسكت دنيا بالقلم والأوراق الذي أصبحوا من أعز أصدقائها في تلك الفترة وجلست أمام شرفتها الزجاجية تتأمل السماء ثم بدأت تكتب ...
تكتب من وحي السماء ومن وحي كلمات كريم لها:
- إذا دققت النظر في السماء ستعلم:
إننا كالنجوم.يرانا الناس من بعيد صغارًا، هناك الملايين منا ولا نفرق عن بعضنا شيئًا، ولكن عند الاقتراب تجد الاختلاف بينهم .تجد أن لكل منهم عالم أكبر بكثير من ما تخيلت ...
و أناس آخرون يرونك كوكب يسبح في القضاء دون أهمية ...
وهناك آخرون ... يحاولون معرفتك جيدًا فيرونك كوكب يدور في فلكه آلاف النجوم.
فلا ترى نفسك إلا في أعين من يعرف خباياك ... فهناك تكمن الحقيقة ...
وستعلم أيضا أن هناك الكثير من الأقمار ولكن من بينهم جميعًا يختار الكوكب

واحدًا فقط ليكون قمره ولا يخرج عن مداره.
فلا تقترب إلا لمن تربطك بهم علاقة جاذبية ...
البعيدة -
انتهت كل من فاطمة ومليكة من امتحانات نهاية العام الثاني لهم في الكلية وتأهلت كل منهما للعام الدراسي الثالث، لم ترى مليكة صديقها أحمد منذ ذاك اليوم الذي تقابلا فيه آخر مرة ولم تسأل عنه أيضًا حتى لا تسمع ما يجعلها تكره ذاتها كره وتكره الحب كره أخرى، أما معتز وفاطمة فقد أصبح كل منهما لا يستطيع الاستغناء عن الآخر ولا يفترقان أبدًا، وها هو معتز يجتاز عامه الرابع ويتخرج من كلية العلوم وبذلك أصبحت فاطمة ترى حلم ارتباطهم الرسمي قاب قوسين أو أدنى، فمعتز من عائلة ميسورة الحال وليس له إخوة فلن يمانع أبوه أن يخطب له الآن ويتزوجان فور حصولها على الشهادة الجامعية.
يتزوجان! هل أصبح الفرح قريب منها إلى هذا الحد؟ هل تحقق حلمها في السعادة الأبدية وتكوين أسرة أساسها الحب المتبادل وتنجب طفلة تورثها سلسلة والدتها التي لم تغادر عنقها قط؟ لم لا؟ فهي لا ترى معتز سوى بصيص الأمل الذي ينير أيامها مهما كانت مظلمة، فهو من جاء ليعوضها عن كل ما عانت منه في حياتها من فقد الأهل والتنقل من دار إلى أخرى وإقامتها ضيفة في منزل عمها بالإضافة إلى تلك الإصابة التي خرجت بها من الحادثة لتذكرها بهذا اليوم حتى الممات ولتراودها ألمًا بين الحين والآخر. فكلما زاد عليها الحمل تشنجت أطرافها لتعبر عن عدم قدرة جهازها العصبي علي التحمل.
أمام كل هذا كانت ترى أن معتز هو التعويض المنتظر فوضعت عليه كل عشمها وكل أمل يسكن بين طيات قلبها الصغير. لم يكن يؤرق أحلامها سوى توعد سيف بالانتقام بين الحين والآخر، لكنها لم تكن تعلم معنى الأرق حتى غربت شمس هذا اليوم، كان في الأسبوع الثاني من أجازة فاطمة الصيفية وكانت تجلس في شرفة بيت عمها في هدوئها المعتاد حتى دخل سيف وعكر صفو الهدوء قائلاً.
- أخيرًا يا فاطمة
التفت بتلقائية لترى من يتحدث فوجدته هو وأجابت:

- أخيرًا إيه.
-أنا سيبتك كتير أوي عشان تتعدلي وتفكري صح أو حتى عشان تنقي الأشكال اللي كنتي بتكلميها في الجامعة بس مفيش فايدة.
همت لتتحدث لكنه قاطعها في عجالة كأنه يحفظ كلماتٍ من سم الأفاعي وجاء ليبثها في أذنيها.
- وأنا قولتلك قبل كدا إني لو حبيت ... هعرف أضرك. واضح كدا إني زهقان وهنفذ كلامي.
إلا لو إنتي رجعتي فكلامك دلوقتي
لم تنبث بكلمة كمن تحجرت الكلمات في حلقها فاقترب من أذنها وقال بصوتٍ خفيض:
- مبروك
قالها ورحل تاركًا خلفه فتاة غاب عن صدرها الهواء وغابت عن لسانها الكلمات، شعرت بخوفٍ يعصف بقلبها فخرجت من الشرفة متوجهة لغرفتها بخطوات يملأها الرعب، وصدت الباب من خلفها ودفنت نفسها في سريرها بأطرافٍ متجمدة رغم حر شهور الصيف.
لم تذق طعم النوم ليلتها لمدة ثانية، فظلت تحاول أن تنام لكنها لم تنتصر على رعبها هذا.
لا تعلم لما كل هذا الرعب؟ هل حقًا لخوفها من ما قد يفعله سيف؟ أم لأنها لم تعد تتحمل أية ضغوطات ولا تريد أن يحدث أي شيء يخل من توازن حياتها الذي بالكاد اعتدل، هكذا نحن ... عندما نتجرع مرارة الألم والفقدان حتى نتشبع نصبح نخشى من أي شيء يحمل احتمالاً ١٪ أن يؤلمنا حتى ولو كانت شوكة في أحد أقدامنا.
وهي حقًا اكتفت وجعًا!
مرت عليها الليلة كأنها سنتان أو تزيد وأخيرًا استيقظ من في المنزل صباحًا وخرجت فاطمة لتناول الإفطار معهم كالعادة.
على مائدة السفرة التي تجمع عليها كل من في البيت نظر لها سيف بابتسامة

خبيثة وقال:
- عندي ليكو خبر حلو
نظر له كل من عمها -على- وزوجته -منار- أما هي فلم تحرك بصرها صوبه من شدة خوفها من النظر إليه فأكمل:
- في عريس جاي لفاطمة
توجم وجهها وشل جسدها كما لو أن أحدهم سكب فوق رأسها خزان مياه مثلجة في شتاء فبراير.
بينما تهلل وجه زوجة عمها وسألت وحيدها فرحة:
-مين دا يا سيف؟
تنحنح الاخر وقال:
- واحد صاحبي ساكن معانا في الشارع وشافها كذا مرة
سأله علي مستفسرًا:
- اسمه إيه دا وبيشتغل إيه؟
- اسمه محمود وبيشتغل مهندس ومستعد ييجي يتقدم في أي وقت.
- إنسان محترم يعني يابني
- طبعًا، متخافش يا بابا دي فاطمة أختي برضه
نظر لها بشماتة قائلاً:
- مبروك
لم تحرك ساكنًا ولم تنبث بكلمة فسألتها منار قائلة:
- إيه رأيك يا بنتي؟
تنبهت من شرودها ونظرت لها لا تعلم ماذا تقول، بصعوبة بالغة جمعت شتات صوتها وقالت:
- أنا مش عاوزة أتجوز دلوقتي
نظر لها عمها بتهكم وقال:
- هو انتي لسة شوفتيه عشان تحكمي؟
- يا عمي أنا مش عاوزة أشوفه أصلاً ومعنديش قابلية للجواز دلوقتي

تدخل سيف في الحديث وقال:
- دا عريس ميترفضش، محترم وعنده شقة جاهزة، دا كان عاوز ييجي يقابل بابا بليل عشان هو مستعجل
أجابته محاولة الحفاظ على ثباتها أمامهم:
- مستعجل ليه يعني؟
- عشان عاوز يتجوز في خلال ٣ شهور عشان مسافر
تدخلت والدته مرة أخرى:
- مسافر فين؟
-كان بيشتغل في قطر يا ماما وهيرجع هناك تاني بعد ٣ شهورن يعني ممكن يخطبها دلوقتي وبعد ٣ شهور يتجوزوا وتسافر معاه
جمعت فاطمة قواها مرة أخري واندفعت قائلة:
- انت خلاص قررت إن أنا وافقت؟ مين قالك إني هوافق أسافر وأسيب مصر ومليكة والجامعة
أجابها في بروده المعاد:
- هو مفيش كليات في قطر؟ ولا في سبب تاني؟
توجمت وهربت الدماء من وجنتاها دائمتين الاحمرار وقالت:
- سبب إيه؟ أنا بس مش عاوزة أتجوز دلوقتي وفكرة السفر دي مرفوضة
هم سيف بأن يقول شيئًا فقاطعه والده:
- بلاش لعب عيال أنتو الاتنين، قول لصاحبك ييجي يقابلني بليل يا سيف، وانتي يا فاطمة متحكميش من غير ما تشوفيه.
صمت عمها وصمت الجميع حتى رئتاها صمتت عن التنفس داخل صدها فتركتهم ودخلت غرفتها.
جلست على سريرها لا تعلم ماذا تفعل، وفي أثناء ذلك خانتها دموعها رغم محاولاتها لمنع سقوطهم.
دائمًا تخوننا دموعنا عندما نطلب منها الصمود، وتتحجر عينانا حين نرجوها بري وجناتنا بمائها المالح.

- دموعك دي أكبر دليل إن سيف عنده حق
نظرت خلفها فوجدتها زوجة عمها تقف بالقرب منها.
- يعني إيه؟
-يعني في سبب تاني
لم تستطع فاطمة أن تجيب فمدت منار يدها ومسحت وجنتي الصغيرة في حنان بالغ قائلة:
- أنا مش هضغط عليكي ... أنا بس عاوزة أقولك إن لو في حد تاني إنتي عاوزاه خليه ييجي يقابل عمك
أنا مش عاوزة غير مصلحتك يا بنتي.
طبعت منار قبلة على وجه فاطمة وخرجت، بينما الأخرى لا تعلم ماذا تفعل! أخرجت هاتفها وحادثت معتز وأخبرته كل ما حدث، أخبرته بأمر هذا العريس وعن قدومه في المساء، بكت كثيرًا وهي تحدثه عن خوفها وعن حبها له وأخيرًا أخبرته بما قالته لها زوجة عمها لتسمعه يقول لها أنه سيأتي إلى بيت عمها قبل وصول صديق سيف، لكنه لم يسمعها ما أرادت، بل لم يعلق على كلمات منار من الأساس.
- بصي يا فاطمة استني لحد بليل وشوفيه وأكيد هتلاقي فيه عيب، أكيد هتعرفي تتصرفي
جاء رده عليها على عكس ما توقعته منه تمامًا.
لكن على كل حال هو يمتلك بعض الحق ... رفضها قبل أن تراه سيثير حولها الشكوك وسيجدها سيف فرصة ممتازة لإشعال النيران من حولها.
كم تكره هذا البغيض! أفعاله تنفي أنه يومًا أحبها، فمن أحب لا يضر! من أحب سيتمنى لمن يحب السعادة حتى لو كانت بجانب شخصًا آخر! أما سيف فسيهدم جدران المعبد على كل من فيه إذا لم تطل يداه ما ابتغى.
ستنتظر ... لا يوجد أمامها سوى انتظار مرور الساعات المقبلة لتبحث داخل عريسها عن عيوب تبرر لها الرفض.
لكن ألا يكفيهم أنه صديق سيف وأنه من رائحته أتى عيبًا! ألا يكفيهم أنها

أعطت مفاتيح قلبها لغيره!
ستنتظر وترى ... لكن ما أسوأ الانتظار الذي لا نعلم ماذا سنفعل بعده! أو ماذا سيفعل بنا ما سيأتي بعد الانتظار
مرت الساعات قاسية على فاطمة كأن عقارب الساعة تسير فوق قلبها وبالطبع لم تخل تلك الساعات من مكالمة طويلة لمليكة قصت عليها فيها ما حدث وما قاله لها معتز وأنه لم يعرض عليها أن يفاتح والديه بشأنها حتى!
وهل سبق وفعلها!
لا لم يفعلها معتز ولا مرة منذ أن تعرفا، لم يذكر لها الزواج قط ولم يحدثها عن مستقبلهما معًا!
لكنها أبدًا لن تشك في حبه لها و ...
ما هذا الصوت!
إنه صوت طرقات على باب الشقة! لقد أتى صديق سيفّ. تمنت من الله أن يجعل هذا اللقاء سهلاً وأن يهديها لمعرفة عيب هذا الشخص الجالس خلف باب غرفتها، لم تمر سوى لحظات واستدعتها منار لحضور اللقاء التي تكرهه بقدر عدم فهمها للقاءات القمة العربية!
خرجت على مضد لتجلس أمامه متحفزة للإمساك بهفوة في شخصيته.
لكنها رأت ما صدمها وحطم كل ما خططت له طوال اليوم، لم تلق فيه عيبًا واحدًا!
شابٌ محترم، ذو مركز مرموق، سيلحقها بأفضل كليات قطر و لها أن تستمر في كليتها وتعود إلى مصر للامتحانات إن أرادت، لها ما تشاء من المهر، سيحضر ما تطلب من الشبكة، كاد يقسم أنه سيقدم لها كوكب المريخ هدية لها في عيد ميلادها أو كوكب زحل إن أرادت هي!
لم تجد فاطمة فيه ما ترفضه من أجله!
أحيانًا يكون عيبهم الوحيد أن قلبنا يدق لسواهم، ويكون ما يميز آخرين أن قلوبنا تحيا فقط برؤياهم!
حينما رحل -محمد- عن منزلهم أخبرها عمها أنها كانت مخطئة حين رفضت

قبل أن تراه وستكون مذنبة إذا رفضته بعد رؤياه.
لم تجد ما تقوله فذهبت لغرفتها ونظرات سيف الشامتة تلاحقها، هل يشمت لأنه أحضر لها عريسًا لا يرفض! بل يشمت لأنه سيحرمها من من تحب.
أغلقت إضاءة غرفتها واختبأت بين وسائدها لتحدث معتز تخبره بأن خطتهم فشلت وعندما سألها عن الحل قالت:
- مفيش حل غير إنك تيجي تتقدملي
- نعم؟
- مالك اختضيت ليه كدا؟
- عشان مش مستعد يا فاطمة
- مش مستعد لإيه؟ هو أنا بقولك تعالى نتجوز دلوقتي؟
- أومال انتي عاوزة إيه؟
- تتقدم بس وأنا هقول أني موافقة ونتجوز لما أتخرج
- ولو قلتلك أني لسة مش مستعد هيحصل إيه؟
شعرت كأنه ألقى كرة من النار في عيناها. فجملته التي لم تتوقعها تلك أصابتها في مقتل! ارتعش صوتها ودمعت عيناها قائلة:
- هيوافقوا على محمد عشان مفيش سبب يخليني أرفض
-رفع معتز صوته وقال في غضب:
- أنتي بتضغطي عليا يعني! آجي أتقدملك أو توافقي على العريس!
خارت قواها وقالت باكية:
- أعملك إيه؟ أنا مفيش حاجة في إيدي أعملها وبقولك كدا عشان متمسكة بيك
كان صوتها ملئ بالضعف وقلة الحيلة والغضب معًا! هي لا تعلم ماذا تفعل وهو يصر على أن يقف مكتوف الأيدي ويشاهد ما يجري عن بعد!
لم يقل لها سوى أنه سيفكر قليلاً وحين يصل لقرار سيخبرها، لم يحاول حتى تهدأتها أو أن يجعلها تتوقف عن البكاء وأنهى المكالمة!
أحيانًا يكون خطأهم هو أنهم لم يقوموا بما توقعناه منهم وما كنا نتمنى لو أنهم فعلوه.

في الواقع لا أعلم هو خطأ من، فليسوا مسئولين عن صورتهم في مخيلتنا ... ولسنا مسئولين عن سوء تصرفهم.
نامت فاطمة بعد أن تورم جفناها واحمرت مقلتاها من فرط البكاء وارتوت وسادتها بخزانات المياه المالحة التي لا تنبت زرعًا ولا تروي عطشًا.
بل تجهد نفسًا وتحرق قلبًا.
مر أسبوع كامل على فاطمة لم تنقطع فيه دموعها حتى ظنت أنها أبدًا لن تنقطع.
لم يحادثها معتز فيه ولا مرة كأنه ذرة غبار انجرفت من حياته بفعل الرياح، لكن رغم انقطاعه عنها لم تفقد أبدًا ثقتها به ولم تهتز صورته أمام عينيها قيد أنملة بل عنفت مليكة حينما وجهت اللوم على معتز في حديثهم. لم تكذب حدثها أبدًا وحدثها يقول أن معتز لن يتخلى عنها مادام نفسه يشق صدره ذهابًا وإيابًا، فهو بالتأكيد يتشاور مع والديه في الأمر ولا يريد إزعاجها، ربما اعترض والده لأنه يريد أن يزوجه لابنة عمته كما نرى في جميع الأفلام، ربما حدث أي شيء غير أن يكون معتز تخلى عنها.
حتى لو أقسمت لها كل شعوب الأرض على ذلك فلن تصغى لصوتهم وستظل متمسكة بنظرتها له، فهو من سيعوضها! لكنها رغم ثقتها الغير متناهية لا تستطيع أن تمنع جفناها من الإمطار!
هناك دائمًا صوتٌ بداخلنا له رنين بين ضلوعنا يجعل قلوبنا قلقة، لا نعلم من أي مكان يصدر أو من أي زمنٍ أني ... فهو مجهول يرغمنا فقط على البكاء!
لم تذق طعم النوم المتواصل ليلةٍ واحدة بعد حديثها مع معتز، فالنوم ما هو إلا فتره لقطع الإتصال بالعالم الخارج و الدخول في عالم اخر لا يعلمه أحد سواك.
أما بالنسبه لها النوم أصبح أستمرار للتفكير لكن في الظلام،لا ينقطع تفكيرها ليل نهارا حتي ذهب من عينيها ظلام الليل و نر النهار
أصبحت أيضًا لا تقوى على النظر في وجه سيف، أصبح غسيل صحون سكان مصر الجديدة بأكملها أحب إليها من النظر في وجه هذا البغيض، وهذه أشد درجات الكره عند فتايات المجرة بأكملها.

كل ليلة تخبرهم أنها مازالت تفكر في شأن ذاك العريس المتكامل الذي أفسد عليها بقدومه هدوء أيامها ...
في اليوم الثامن من تلك الليلة كانت جالسة في شرفة غرفتها تتحدث مع علا على الهاتف:
- يا فاطمة إنتي مكبرة الموضوع أوي دا واحد ميسواش
- انتي ليه ديمًا بتقولي كدا!
- عشان أنا شايفاه كدا ديمًا
لا تعلم فاطمة لماذا تحاول علا دائمًا أن تجعلها تكره معتز مثلها، تهاجمها حتى في أشد لحظات احتياجها لكلمة تهون عنها، من المفترض أن يفتح لك صديقك عيناك على ما لا تستطيع أن تراه، لا أن يفقأ لك عينك نهائيًا فلا ترى من الأساس.
- يا بنتي دا رماكي ومفكرش يسأل عليكي ولا مرة كأنك واحدة هتروح وييجي مكانها عشره!
هناك دائمًا خيط فاصل بين الصراحة والوقاحة ودائمًا تهوى علا أن تدهس هذا الخيط تحت قدماها!
أرادت فاطمة أن تغلق الحوار حتى لا يرتفع ضغطها أكثر من هذا فقالت:
- ربنا يحلها من عنده بقا
- أاه يا حبيبتي لازم بعد الضلمة الشمس تطلع
كانت محاولة فاشلة من علا لتبدو عميقة في حديثها لكنها استفزت فاطمة أكثر بقولها هذا فنفذ صبر الأخيرة وقالت:
- على فكرة بضايق جدًا من الناس اللي بتقول أن بعد ضلمة الليل هييجي الصبح عشان يدوني أمل ... ليه كدا؟
- ليه إيه؟
- ليه بتظلموا الليل كدا وواخدينوا رمز للكرب؟ ليه متقوليش إن بعد حر الشمس هييجي هدوء الليل؟ ليه تفكيركوا سطحي كدا وبتحكموا على الليل لمجرد إنه ضلمة؟ الضلمة دي جوانا احنا يا علا ... علا معلش اقفلي عشان في

حد بينده عليا
- أوك سلام
أغلقت فاطمة الخط ولم تبرح مكانها، فلم يناديها أحد لكنها رغبت في أن تحظى ببعض الهدوء. نظرت صوب سماء الليل الهادئة وهي لا تعلم كيف يرمزون للكرب بهذا الجمال؟ فبداخل كل شيء مظلم سحر لا يراه سوى من تخلى عن السطحية ...
سالت دمعاتها على وجنتاها الدافئتين في أسى من لا يعرف طريقه، وبينما هي جالسة تزرف دمعًا سمعت رنين هاتفها فنظرت إليه بتثاقل سرعان ما تحول لدهشة حين رأت اسم المتصل، إنه معتز!
خطفت الهاتف سريعًا وظلت تحدق على خانة اسم المتصل لتتأكد أنه هو! وضعته فوق أذنها وقالت بوقار لا يمت بصلة لحالتها:
- ألو، عاوز إيه
كانت تنوي أن تسكب على أذنيه سيل من كلمات اللوم والعاتب وتخبره بكل ما جال في خاطرها الأيام الماضية لكنه قال في عجالة بمرح:
- أنا وبابا وماما هنيجي نكلم عمك، فاضيين إمتى؟
شهقت شهقة عالية كادت أن تثقب أذنه من قوتها وسقطت من عيناها الدموع مرة أخرى لكنها دموع فرحة من فرط السعادة
فالتقت دموع السعادة المتساقطة مع دموع الحزن التي لم تجف بعد كالتقاء الماء العذب مع المالح عند نهاية نهر النيل، لكنهم أبدًا لا يلتقيان.
لم تمتلك قوة كافية لتجيب أو تعطي أي ردة فعل فاستطرد معتز قائلاً:
- ها نيجي إمتى؟
جمعت كل قطرة دماء متبقية في عروقها التي تجمدت من الصدمة وقالت:
- دلوقتي!
كان وجهها تغطية حمرة البكاء والخجل معًا وتطل فوق شفتاها ابتسامة صافية تظهر من بين دموعها.
كانت ملامحا تشبه الحياة بكل ما تحتويه من حزن وسعادة ، هناء وشقاء.

تحدثت معه كثيرًا لكنها لم تنبث بكلمة من ما كانت تنوي أن تقوله له ولم تسأله عن الفترة التي اختفى فيها عنها، فقد اكتفت بالسعادة التي عبأت ثنايا روحها وشرايين قلبها.

فلكل منا أناس يمتلكون زمام قلبه، وفي أشد لحظات ظلمهم لنا يظل جزء خفي بداخل قلوبنا يبحث لهم عن الأعذار داخل كومة القش ويتمنى لو يسعدوننا ولو للحظةٍ واحدة لنغفر لهم وينتهي الأمر بعد لحظة سعادة واحدة تلت ليالٍ من الظلم. نستجيب لنداء ذاك الجزء الخفي ونغفر لهم وينتهي الأمر!

!وسنظل نغفر لهم ما دمنا نمتلك ذاك النداء في قلوبنا ... وسينتهي الأمر

-هناك لحظات تحول كل رمال الصحراء لزهورٌ فواحة ...
ولحظات تحول تلك الزهور لبقايا أوراقٍ محترقة لا يضاهيها شيء في المرارة-

يوم حادثها -معتز- فاطمة لم تنتظر حتى الصباح لتخبر مليكة، فقد ذهبت حيث شقة -فريدة الحشاش- وطرقت الباب طرقاتٍ متتابعة حتى فتحت لها مليكة وقبل أن تنطق بكلمة سحبتها فاطمة من يدها إلى داخل الشقة وقصت عليها كل ما حدث وعن فرحتها التي لا توصف بكلمة، كانت عيناها تدل على فرحة جاءت بعد قلقٍ شديد.
كانت فرحة مليكة لا توصف كما كان قلقها لا يوصف في بداية الأمر. فرحت كثيرًا وباركت لصديقتها التي كانت تخشى عليها وعلى قلبها كثيرًا.
فالاثنان قلبٍ واحد، إذا مس إحداهما ضرر مس الأخرى ضعفه! اقترحت مليكة على فاطمة أن تتحدث مع عمها وتخبره أن هناك آخر يريد خطبتها لكن فاطمة رفضت قائلة أنها لن تستطيع أن تفعل هذا في وجود سيف.
صمتت فاطمة للحظات ثم أخرجت سلسلة من أسفل ملابسها ونظرت لها لحظات ظهر خلالها الدمع في عيناها وقالت:
-مش لو ماما كانت معايا دلوقتي كان الوضع هيختلف!
ربتت مليكة على يد صديقتها وقالت:
- ربنا يرحمها يا فاطمة
- أنا طول عمري كنت عارفة إني ف اللحظة دي هحس باليتم
مسحت مليكة دمع صديقتها وقالت:
- طب انتي مامتك وباباكي سابوكي وسابو معاكي حاجة تفتكريهم بيها، أنا بقى أنور مشي وسابلي كل حاجة أكرهه بيها
ثم لكمتها في كتفها وأكملت:
- وعلى فكرة فريدة دي مامتنا إحنا الاتنين
سحبتها مليكة من يدها حيث غرفة فريدة وقصت عليها فاطمة كل ما حدث وعن -محمد- الذي يتمنى عمها أن توافق عليه وعن حيرتها وعدم درايتها لما تفعل، فما وجدت سوى أم حنونة فرحة بابنتها وبما هي مقدمة عليه.
وعدتها فريدة أنها ستذهب لـ علي النقراشي عمها في الصباح وتخبره بأن هناك

آخر يريد خطبتها وأن فاطمة تريده ولن تتركه قبل أن يعطيها معادًا لمقابلة معتز وعائلته.
لم تصدق فاطمة نفسها من السعادة لكن هذه هي سليلة عائلة الحشاش لا تترك من لجأ لها تحت أي ظرف! رغم تدهور حالتها الصحية كثيرًا إلا أنها ظلت كما هي. قوية، مرفوعة الرأس والأنف ولا ترد من طلب مساعدتها!
توجهت فريدة في اليوم التالي لشقة النقراشي وجلست معه ومع منار وأخبرتهك بكل ما وعدت به فاطمة، في البداية عارض علي لأنه معجب بمحمد وأنه فرصة رائعة لأي فتاة لكن هيهات أن يفرض أحدًا رأيه في حضور فريدة هانم.
تحدثت معه كثيرًا وكانت منار تقف إلى جانبها وتؤيد رأيها حتى ردخ علي لرغبة الأمرأتان ووافق على مقابلة معتز لكن لم تكتف فريدة بهذا وأخبرت علي أنها ستحضر هذه المقابلة لأن فاطمة في معزة مليكة فوافق -على- على مضد.
عادت فريدة لشقتها حيث كانت تجلس فاطمة لتبشرها قائلة:
- قولي لمعتز إن عمك مستنيه يوم الجمعة
قفذت فاطمة من فوق الأريكة وارتمت في حضن فريدة متمتمة بعبارات شكر لا تنتهي رغم علمها بأن عمها سيلومها على لجوئها لغريبة. لكن من يهتم!
وافق عمها وانتهى الأمر ولن تضرها بعض عبارات التوبيخ ولن يقلل شيئًا من سعادتها.
فهناك لحظات تحول كل رمال الصحراء لزهورٍ فواحة.
جاء اليوم الذي كانت نفسها تطوق لحضوره، قابل معتز عمها ورحل بعد أن أخبره أنه سيبحث الأمر ويعطيه ردًا عن ما قريب.
أخذت فاطمة عهدًا على نفسها أن تفعل كل ما بوسعها لتقنع عمها بمعتز حينما رأت أنه لن يتخلى عنها. فمن قواعد النساء أن من يسير من أجلها خطوة تعبر من أجله بلدان، أخبرها عمها أنه يفضل محمد على معتز لأنه له مستقبل باهر لكنها ظلت تناقشه بكل ما تملكه من قوة حتى أقنعته بمميزات معتز وعن رغبتها في الزواج فأبى أن يكون عائقًا في سبيل سعادتها فوافق على أن يرفض محمد ويجلس مع الآخر مرة أخرى ليتفقا.

حينما أخبرها عمها أنه سيقبل به. رأت والدتها تبتسم أمامها في سعادة بالغة، شعرت بأن كل ما مرت به في حياتها كأن لم يكن من الأساس وبلغت سعادتها حد السماء حينما حدد عمها موعد الخطبة، هل حقًا ابتسمت لها الدنيا وستعطيها ما أرادت؟ لم لا؟ كفاها ألمًا ومرحبًا ببعض السلام الذي لطالما تمنته. حتى سيف الذي كانت تعلم أن جبهته لن تغلق لم تنشغل بأمره، فلن يجد ما يفعله أمام موافقة عمها.

كانت والدتها تقف أمامها وعلى وجهها ابتسامة صافية واقتربت منها حاملة بين يديها علبة قطيفة حمراء مغلقة فسألتها فلهفة:

- إيه دا يا ماما انتي جيبالي هدية

هزت السيدة رأسها نافية وفتحت العلبة التي كانت بين يديها فقالت الأخرى:

- يا ماما العلبة فاضية ليه؟

لم تجبها السيدة لكنها وضعت يداها حول عنق الفتاة و خلعت عن عنقها سلسلة لها بريق لامع ووضعتها بداخل العلبة فذهب البريق واختفى لمعان السلسلة كأنها ما أضاءت يومًا.

- يا ماما ردي عليا انتي اخدتي السلسلة مني ليه؟

نظرت لها السيدة مليًا ثم قالت في هدوء:

- خليكي عارفة يا فاطمة إن كل نجمة انطفت هيجيلها يوم ومن تاني راح تسطع.

استيقظت فاطمة من حلمها وصدى كلمات والدتها يرن في أذنها لكنها لم تفهم منه شيء!

اعتدلت في سريرها واطمأنت على سلسلتها ثم أخذت الدواء الذي تواظب عليه كل فترة حتى لا تعود إليها التشنجات وخرجت من غرفتها متحفزة لكل دقيقة في يومها ...

إنه يوم خطبتها! مَن مِن الممكن ان يكون أسعد منها في هذا اليوم ... هناك من هو أسعد منها ... من تمتلك ذات القلب بين ضلوعها لم تقل عنها سعادة كما لو كانت هي العروس ...

قضت مليكة الأسبوع الماضي كله مع فاطمة في البحث في محلات مصر كلها عن كل ما ستحتاجه في الحفل المقام في منزل عمها.
وها هي الأن في منزل النقراشي تقوم بدور اخت العروس وأكثر.
حتى فريدة لم تتركها تشعر باليتم منذ اليوم الذي لجأت فيه إليها حتى هذه اللحظة التي ترفع فيها يدها وهي تصلي تدعو الله أن يسعد فاطمة ويكتب لها الخير حيث كان وتدعو أن يطيل في عمرها حتى ترى مليكة عروس وتطمئن عليها ثم يضمها الله لجواره لتنعم بالراحة الأبدية. لكنها كانت تعلم أن أمر زواج مليكة هذا ليس هينًا أو سهلاً وتعلم أيضًا أن عمرها لن يعطيها على قدر ما أخذته فقررت في نفسها أنها ستأخذ مليكة لزيارة طبيب نفسي بعد خطوبة فاطمة ب أيام للتخلص من عقده أنور التي لم يزدها الزمان إلا نمو.
فهي لا تريد أن تشعر أن ابنتها تدفع ثمن أخطاء والدها أكثر من ذلك. فبداخل مليكة خيط انقطع يوم رأت أنور يضرب والدتها. وها هي فريدة الان تتمنى لو أنها لم تصرخ أو تركته يقتلها حتى لا تتكون بداخل صغيرتها عقدة ينميها الزمان وفقد صغيرتها الأخرى التي ما عادت تعرفها لذا قررت أن ما أفسده الزمان في ابنتها يصلحه العلاج النفسي.
زينت فاطمة ومليكة المنزل وحولتاه إلى قاعة أفراح صغيرة تستعد لاستقبال أميرة البلاد لتتربع على عرش السعادة بجانب الملك، زينتا المنزل بأزهار وبلونات لها لون وردي هادئ ومريح كلون فستان فاطمة.
كانت فاطمة ينقصها وجود والديها بجانبها أو على الأقل أحدهم فأدركت مليكة هذا وحاولت تعويضها عن هذا الفقد. فقد يأتيك من لا يربطك به نسب ليعوضك غياب من تجري دمائهم في عروقك.
دقت الساعة السادسة فأدركت فاطمة أن أمامها ساعة واحدة لترتدي فستانها وتكون جاهزة.
كان فستانها غاية في الجمال مثل ملامحها، هادئ مثل روحها، ومريح مثل طباعها لكنه ازداد جمالاً بعد أن ارتدته أسعد الفتيات، كان فستانًا بسيطًا واسع الأكمام تزينه بعض الزهور الرمادية فوق الصدر والأكتاف له حزام رمادي

استدار حول خصرها قبل أن يتسع الفستان كثيرًا حتى آخر قدميها. وارتدت على رأسها طرحة رمادية زادتها جمالاً ورقة، ثم وضعت لها مليكة القليل من مستحضرات التجميل التي جعلتها تبدو كزهرة متفتحة في نهار الربيع.
استأذنتها مليكة لتعود إلى شقتها لترتدي فستانها وتأتي مرة أخرى بصحبة والدتها فلم يتبقى سوى عشر دقائق على قدوم عائلة معتز. رحلت مليكة وتركت فاطمة بمفردها في الغرفة فأظهرت سلسلة والدتها فوق فستاها وقبلتها وقالت:
- طول ما نجوم السما لسة بتلمع يبقى أنا بحبكوا
ثم وضعت زخاتٍ من عطر كانت تعشقه والدتها وجلست تنتظر قدوم معتز بعد أن دقت عقارب الساعة معلنة الساعة السابعة.
فسيأتي الملك في أي لحظة ...
دخلت مليكة إلى شقتها فوجدت والدتها مازالت بملابس المنزل ولم ترتدي ملابسها بعد فوجهت لها مليكة اللوم قائلة:
- ملبستيش ليه يا ماما فاطمة هتزعل لو اتأخرنا
لم تجبها فريدة وظلت محدقة في الفراغ أمامها فإستطردت الأخرى:
- ماما انتي كويسة؟
تنبهت فريدة فأجابت:
- كويسة الحمد لله ... البسي مبسرعة مفيش وقت
- طب أجيبلك هدومك
- ملكيش دعوة يا بنتي بقولك مفيش وقت
دلفت مليكة إلى غرفتها لترتدي ملابسها. كان فستانها أسود، مكشوف الظهر ليس له أكمام، قصير يظهر ركبتيها وساقيها البيضتان. ثم رفعت جميع خصلات شعرها فوق رأسها لتكشف عن عنق طويل، مرفوع، لا يليق بعائلة الحشاش سوى عنق كهذا. نظرت مليًا لذاتها في المرآة، كم تتمنى أن تصبح عروس كفاطمة، لكن هناك شيء بداخلها يأبى الانجراف وراء تلك الأمنية، فليس كل ما نتمناه تحققه، كثيرًا ما يشتاق جزء بداخلك لشيء أما باقي الجزاء فتأبى أن تطيع!
تنبهت مليكة إلى أن الساعة تجاوزت السابعة والنصف، كيف لم تستعجلها

فاطمة حتى الآن! خرجت لتتعجل والدتها متمنية ان تكون أتمت ارتداء ملابسها، خرجت للصالة فلم تجد والدتها فرفعت صوتها وقالت:
- ماما أنا جاهزة
ماما ...
لم تتلقى إجابة فتحركت في أرجاء الشقة تبحث عن فريدة حتى شهقت شهقة عالية الصوت لما رأت والدتها ملقاة على الأرض في ردهة المنزل. صرخت مليكة وجلست بجانبها وقالت:
-مالك يا ماما !
تحاملت فريدة على روحها المنهكة وقالت بصوت قارب على الاختفاء:
- مش قلتلك مفيش وقت
همت مليكة لتنهض وتطلب المساعدة لكن أوقفتها يد فريدة قائلة:
- اسكتي وسيبيها تفرح بخطوبتها وانتي خليكي جنبي.
ثم ابتسمت وكررت كلمتها:
- مفيش وقت
جلست مليكة بجانبها كما أمرتها فأكملت فريدة:
- مش لو كنتي لبستي الحجاب كنتي هتبقى أحلى؟
قالت مليكة من بين دموعها بصوتٍ تملأه نيران الحرقة:
- ماما أنا مليش غيرك عشان خاطري متسيبينيش
- اسمعي كلامي، لو اتكسرتلك حيطة دوري على حيطة جديدة تتسندي عيلها.
ارتفع صوت بكاء مليكة حتى أصبح أشبه بالصراخ فوضعت فريدة يدها فوق فم صغيرتها لتخفض من صوتها كأنها لا تريدها ان تزعج الملائكة من حولها.
انصاعت مليكة لرغبة والدتها وخفضت من صوتها قليلاً. سقطت يد فريدة رغما عنها عن فم الصغيرة فأطلقت صرخة لا تعبر عن قدر الألم الكامن في صدرها.
وضعت رأسها على صدر والدتها الساكن وظلت تحدثها:
- ماما عشان خاطري متسيبينيش ... هو أنا ليا غيرك عشان تبعدي عني؟

يا ماما فوقي وأنا هعملك كل اللي انتي عاوزاه ... هتجوز وهتحجب ومش هقولك لأ أبدًا بس أنتي قومي
عدلت جلستها وأمسكت بكتفي والدتها وقالت:
- انتي بتهزري معايا صح؟ أكيد بتهزري
أخذت تحرك والدتها بقوة قائلة بصوت مبحوح:
-قومي معايا أنا مش هسيبك تبعدي عني.
ثم خارت قواها وقالت لها بأعين تذرف دمًا لا دمعًا:
- أنتي قولتيلي إنك عمرك ما هتبعدي عني زي بابا، ليه كدبتي عليا يا فريدة ليه؟
استمرت في البكاء والحديث مع جسد والدتها الهامد لكن بلا جدوى، فالصدر الذي طالما ضمها قد سكن لتوه عن الحركة وأعلن عزوفه عن الهواء. ها قد سكت الصوت الذي لم يتوانى يومًا عن تقديم النصائح. أغمضت الأعين التي لم تتوقف عن الرعاية والحنان.
فجأة تحول لون جدران المنزل للرمادي وأصبح مظلم وموحش بمجرد رحيل روح سيدة الدار، فجمال الأماكن ليس في تصميمها أو أثاثها، بل جمال الأماكن في من يسكنون فيها وتعشق جدرانها صوت أنفاسهم ...
نامت مليكة على صدر والدتها الدافئ رغم سكونه وأخذت تزرف دمعًا كأن لم تبكي يومًا. صحيح أنها لم تبكي يومًا! فمن لم يفقد من خلقه الله من رحمها لم يعرف بعد معنى الفقد ولم تدمع عيناه على عزيزٍ بحق.
تشبع المنزل بصوت بكائها الصادق الذي لم ينقطع ومالت الجدران فوق رأسها حزنًا على سيدة الدار الراحلة.
الساعة الثامنة مساءً ...
منزل النقراشي يشع فرحًا ... حضرت عائلة فاطمة وصديقاتها وعائلة معتز ... لكن حتى الآن ... لم يأتي معتز بشخصه.
دلف علي النقراشي إلى غرفتها للمرة الألف وقال بعصبية:
- هو فين كل دا يا بنتي الناس زهقت

- مش عارفة يا عمو بس أكيد الطريق واقف
- طب كلميه شوفيه فين
- كلمته كتير أوي بس تليفونه مقفول.
زفر عمها في ضيق وخرج من غرفتها وترك الباب للهواء من خلفه فأغلقه الهواء بعنفٍ أثار توترها.
لما كل هذا الغضب! ما المشكلة إذا تأخر قليلاً في طريقه!
حاولت فاطمة أن تحادثه مرة أخرى لكن دون جدوى. فتلك الإمرأة السخيفة أخبرتها أن الهاتف مازال مغلق وكادت المرأة أن تخبرها أنها قالت لها هذا ما يزيد عن العشرين مرة.
ما أسوأ الانتظار بلا مقصد أو بلا أدنى فكرة عن غاية هذا الانتظار أو حتى عن سببه!
قطع شرودها صوت رنين هاتفها فالتقطته سريعًا حينما وجدت ذلك الرقم الذي تحفظه عن ظهر قلبٍ.
- انت فين كل دا يا معتز!
- في العربية
- طب فاضلك أد إيه وتوصل؟
- ملكيش دعوة ... أنا بس كلمتك عشان أقولك أني خلاص فهمت كل حاجة
- فهمت إيه؟!
- فهمت إنك خبيتي عليا إنك عندك مشكلة بسبب الحادثة ومتعالجتش ومش هتتعالج وفهمت إنك ألفتي حكاية العريس دي عشان تضغطي عليا وآجي أتقدملك
- إيه اللي أنت بتقوله دا؟ أنا مقولتش عشان مش بحب أتكلم عن يوم الحادثة بس كنت هحكيلك ومتخليتش إنها هتكون مشكلة بالنسبة لك
- أنا حر ... دي حاجة تخصني أنا سواء قبلت أو رفضت، مش تألفي حكاية عشان أتقدملك
- مين قالك كدا، والله ما حصل دا حتى عمي قالك إن في حدا تاني متقدملي

- ما انتو متفقين سوا تلاقيه ما صدق يخلص
- إيه اللي بتقوله دا حرام عليك، والله كل دا كدب
- أنا خلاص عرفت كل حاجة، وعلى فكرة سيف ابن عمك هو اللي كلمني وفهمني
شهقت بعينان يملأهما الدمع وضغطت بكفها على كوب ماء كان في يدها وقالت بصوت ملئ بالعجز:
- سيف دا كذاب وانت عارف ... صدقني كل دا كذب
- دا ميخصنيش. أنا أصلاً كنت معترض على الخطوبة دلوقتي وبعد اللي سيف قاله اعترضت أكتر
زاد ضغطها على الكوب وقالت بصوتٍ مرتعش:
- يعني إيه؟
- يعني أنا مش جاي ومش عاوزك تكلميني تاني وأنا لوحسيت أني عاوزك هكلمك
تحجرت الدموع في مقلتاها وهربت الكلمات من على شفتاها حينما اختفى صوته وأظلمت شاشة الهاتف، لم تفعل أي شيء سوى أنها زادت من ضغطها على الكوب الزجاجي حتى تحطم بداخل كفها وشق الزجاج مسام جلدها لتسيل الدماء من داخل كل قطعة في كفها لكنها لم تنظر إليه ولم تحرك ساكنًا! دقائق أو ربما ساعات ... هي لا تعلم! حتى دخلت منار الغرفة فوجدت فستانها مخضبًا بالدماء المتدفقة من يدها فصعقت الأخرى وتقدمت إليها في لهفة ونادت على زوجها وسيف بفزع وأطلقوا عليها سيلاً من التساؤلات حتى فتحت فمها وقالت بصوت تغطيه الحسرة:
- معتز اتصل وقال إنه مش جاي
أصابت الصعقة كل من في الغرفة إلا هي لم تنبث بكلمة ولم تحرك ساكنًا، هي حتى لم تسمع كلماتهم!
لم يخترق أذنها سوى صوت سيف يقول جمل على شاكلة:
- هو دا اللي رفضتي محمد عشانه

- هنقول إيه للناس اللي برا؟
- انتي فضحتينا!
شعرت بتنميل في رأسها وألف جرسٍ يدق داخل أذنيها وسرى ذات الألم في ظهرها وأطرافها فسقطت على الأرض مغشي عليها وتحركت أطرافها على أثر التشنجات التي لم تجد فرصةٍ خير من هذه لتراودها مره اخرى وتلتهمها!
لحظاتٍ تحول الزهور لبقايا أوراقٍ محترقة لا يضاهيها شيٍ في المرارة!
منزلٌ به فتاة تبكي زكرى عزيزٍ رحل رغمًا عنه.
وأمامه منزل به فتاة تتشنج أوصالها لعزيزٍ رحل رغمًا عنها.
ولم تستطع إحداهما أن توقف مركبًا استقله عزيزٍ نوى الرحيل عبر بحارًا بعيدة!
قضت فاطمة ليلتها الأولى داخل المستشفى غائبة عن الوعي محاصرة بجهازٍ عصبي مهترئ، أما مليكة فحضرت عزاء والدتها بالحجاب!
فبمجرد رحيل الأحبة تتحول امنياتهم لأوامر!
أحيانًا ما يهون علينا البلاء هو الشعور بأن جميعنا مبتلون، لذلك قرر باسم أن يضيف جلسات العلاج الجماعي لخارطة العلاج المحددة لدنيا
فقد تحسنت حالتها كثيرًا وأصبحت على مشارف الشفاء الكامل وحادثت باسم كثيرًا عن كل ما كانت تترفع عن الحديث فيه وعن العقبة التي لم تتخلص منها بعد!
وها هي جالسة بجانب نسمة وزملائها في المصحة على شكل دائرة يترأسها رجل خمسيني هو من يقود جلسة العلاج، طلب منهم المعالج أن يكتب كل منهم ما يدور بعقله عن نفسه أو أدق وصف لذاته، فكل بحارْ أدرى بما تحمله سفينته.
أتم جميع المرضى ما طلبه منهم وأعطوه الورق دون أن يدون كل منهم اسمه على ورقته، بدأ الرجل في القراءة بصوت مرتفع ما كان مكتوب بداخل أول ورقة:
- أنا كل حاجة وعكسها ...
بحس باحتياج لكن نفسي مكفياني
بحب الشروق وبهرب من نور الشمس

بحب الحرية ومية قيد في أيديا
بحب اللمة بس بدور على مكان أكون فيه لوحدي
أنا مية صوت جوايا في وقت السكوت
أنا اللي جوايا الحياة فوقت الموت
أنا ضحكة مكسورة ساعة البكا ودمعة محبوسة فعز الضحك
أنا اللي بتوه في الشمس وانا اللي يشوف في العتمة
أنا الحر وقلبي أسير ... وأنا اللي يشوف نفسه في نور الليل.
أتم المعالج قراءة ما كتب في الورقة الأولى ثم قال:
- لو صاحب الورقة يحب يعرفنا بنفسه يقول.
رفعت نسمة يدها وقالت:
- أنا نسمة ودي ورقتي.
- أهلاً يا نسمة
فض الرجل الورقة الثانية وقال:
- لسة فيا حتة مكملتش ...
لسة أمنية متحققتش ...
لسة عندي صوت متسمعش ...
لسة كلام كتير متقالش ...
رغم أن ملامحي واضحة ... لسة حتة مضلمة
لسة ناقصة كتير حكايتي ... لسة مكتبتش نهايتي.
صاحب الورقة عنده الشجاعة يقول؟
رفعت دنيا يدها فسألها المعالج:
- اسمك إيه؟
نظر لها باسم الجالس بجانبه نظرة لها مغزى معين فأشاحت ببصرها عنه وقالت:
- دنيا
- احييكي على شجاعتك يا دنيا

كانت حقًا تستحق التحية، فهناك أسوياء غير قادرين على وصف ما بداخلهم والبوح به وهي فعلتها! فقد كانت هذه طبيعتها طوال عمرها، أما العزوف عن الكلام شاذًا عن قواعدها! انتهت اللعبة وصعدت دنيا إلى غرفتها لترتاح قليلاً فلما وصلت لغرفتها وأدارت مقبض الباب سقط فمها من الصدمة!

الغرفة مليئة بالبالونات الملونة والفيونكات تزين النوافذ وهناك براويز مليئة بالألوان معلقة على الجدران.

من فعل كل هذا! ولم؟

لفت انتباهها بالونًا طائرًا حتى سقف الغرفة ويتدلى منه خيطًا رفيعًا معلقًا به ورقة مطوية.

ركضت من بين البالونات التي تغطي الأرض حتى وصلت للورقة وفضتها لتقرأ ما بداخلها:

- احزن وازعل واتألم بس اوعى تسمح لحاجة تقتل روحك، رغم أي وجع، لسة روحك عايشة بتضحك لسة قلبك حر، لسة جواك صوت بيغني، لسة قلبك حي.

-كريم-

- إيه رأيك؟

جاء الصوت من خلفها فاستدارت وجدته هو!

- انت اللي عملت كل دا يا كريم!

- أاه .... عجبك؟

- تحفة بجد بس تعبت نفسك أوي

نظر لها بابتسامة وقال:

- أي تعب يهون عشان أشوفك مبسوطة

ابتسمت هي الأخرى لكن سرعان ما حل محل البسمة الوجوم فعاجلها قائلاً:

- في إيه مالك؟

- مينفعش يا كريم ... كل اللي بتفكر فيه مينفعش يحصل

- ليه؟

- عشان أنا مقدرش أبقى معاك ولا مع غيرك!

- مينفعش تسيبي حاجة هتفرحك عشان خايفة
- مش خايفة
- لأ خايفة وخوفك باين ف عنيكي
تنفست دنيا وقالت:
- أاه أنا خايفة
- وأنا مش هسيبك وهستناكي لحد ما خوفك يروح
- مينفعش أقولك استناني وأنا نفسي مش عارفة أنا حاسة بإيه، ومقدرش أديلك رد وأنا لسة هنا
تركها كريم متجهًا للباب لكنه استدار وقال:
- هفضل مستنيكي يا دنيا
- بلاش تعلق نفسك بوهم محبوس فمكان مش عارف يخرج منه
ليتها تعلم أنه القشة التي تنقذ الغريق! ليتها تعلم أنه يريد أن ينتظرها أبد الدهر.
ليتها تتخلى عن خوفها هذا! ليتها تعلم أن من أحبنا في أفضل حالاتنا قد لا يتحمل إخفاقنا ... أما من عشقنا في أسوأ ظروفنا لن يتركنا مهما طال بنا الطريق...
ف الحب حرية وهواء ... لكن لا حرية تطلب من سجين ولا هواء يرجى من غريق
أيهما أصعب؟ فراق من رحل رغمًا عنه؟ أم فراق من رحل غمًا عنا؟
أن تشعر بافتقادك له وإشفاقك عليه لأنه لم يمتلك اختيار البقاء؟ أم أن تغرق بين افتقادك وكرهك له لأنه كان أمامه ألف فرصة ومن بينهم اختار الرحيل؟
في اعتقادي الأول أهون لأن الرحيل فيه خارج عن إرادتنا، أما الثانية فلم يقوى فيه الراحل على تنفيذ وعوده بالبقاء.
وبين الأولى والثانية تلطمت كل من الزهرتان لمدة تزيد على الثلاثة أشهر، فكل منهما تنعى ذكرى حبيبٍ رحل ولن تطأ قدمه أرض اللقاء.
من قال أن الحزن يبدأ كبيرًا ثم يصغر تدريجيًا! بل إنه يبدأ كبيرًا ثم يتغلغل في

الروح ويسكن في ثنايا القلب، يتعمق بداخلك حتى يصبح جزءًا منك.
وأجزاءنا لا تختفي حتى إذا لم نعرها اهتمامًا.
قضت فاطمة الفترة السابقة في منزل مليكة، كل منهما محطمة لا تقوى على جمع شتاتها.
بعد شهرٍ من وفاة فريدة بدأت مليكة في اللجوء إلى الشيء الوحيد الذي تشعر أنه وطنها ومسقط رأسها، بدأت في الكتابة ليلاً ونهارًا دون انقطاع. تخرج كل ما في جعبتها من سهام. تكتب بعيناها وروحها وقلبها، لا بقلمها وأوراقها، كان شيئًا يفوق كل ما كتبت من المسرحيات، لم يكن مسرحية من الأساس.
حادثت فاطمة عنه لكنها لم تتحمس ولم تعترض، فهي لا تقوى على شيء سوى البكاء.لا تنتبه لأي شيء من حولها..كان بداخلها تضارب في الشعور: بركان ثائر لايخمد يطلق لهيبه في حلقها،و كتله من الجليد تكونت علي قلبها الذي عاني كثيرا حتي فقد اتصاله بالحياه. حتي صارت ابرد من برد الشتاء...
في الفترة الماضية بكت كل شيء لم تعطه حقه في البكاء، بكت والداها وجدتها، بكت إصابتها وغربتها، بكت يتمها وكسرتها، بكت معتز وفريدة، بكت حتى تحول ما يجري في عروقها من دماء إلى دمعاتٍ دافئة.
كان ما فعله بها معتز هو نقطة المياه التي هدمت السد، لم تتحمل صدمتها في من وضعت عليه كل آمالها وظنت أنه من سيعوضها، لكنه جاء ليهدم جدران مدينتها فوق رأسها بعد أن ظنته من سيرمم تشققاتها.
ما يقتلها هو العشم!
كطائر محبوس منذ زمن لم يذق طعم الحرية ويرى أمثاله الطيور تحلق في السماء ... وذات يومٍ وجد الطائر باب القفص مفتوحًا فخرج منه وطار غير مصدقًا خروجه.
طار عاليًا إلى أبعد نقطة تراها العين، سعيدًا، منطلقًا، أخذ يقرر أنه لن يعود للأرض مرة أخرى
وعلى غير توقع !! سقط الطائر من أعلى نقطة إلى أسفل أرض، اصطدم بقوة وأصبح غير قادرًا على الطيران من جديد! عاد الطائر إلى حبسته لكن بدون

سجن، بعد أن ذاق طعم التحليق.
لم أرى في حياتي أسوأ من العشم إذا لم يتحقق! يأخذك من سوء الحال ويرسم لك ألوانًا في السماء ثم تعود إلى الحال الأسوأ بعد أن عشقت عيناك ألوان السماء ونسيت كيف تعيش مغمض العينين.
فعلى قدر ارتفاع الطائر كان الاصطدام ...
وعلى قدر الاحتياج والعشم يكن الألم ...
كانت فاطمة تجلس بمفردها في منزل مليكة التي غادرته صاحبته منذ نصف ساعة، كانت تجلس بمفردها أمام المرآة فسمعت رنين هاتفها الذي لم يطلق رنينه منذ زمن، لم تكن لتلتقطه لكن شيء بداخلها جعلها تفتح الهاتف لتجد رسالة من مجهول!
قرأتها أكثر من مرة لتتأكد من محتواها الذي جن جنونها، انتفضت من مكانها سريعًا وارتدت أول ما وقعت عليه يداها من خزانة مليكة التي أصبحت ترتدي الحجاب مثلها.
ركضت على درج البناية حتى وصلت للشارع واستمرت في الركض دون وجهه حتي أوقفت سيارة أجرة وأمرتها بالتوجه للعنوان الذي كتبه لها المجهول في الرسالة. كانت الشمس قد أوت إلي كهفها لكن تركت لهيبها و حرارتها في صدر فاطمه .كانت تسابق الزمن وروحها تكاد تتركها وتذهب حيث قاعة الأفراح المكتوب اسمها على الهاتف.
القاعة التي تقام بها خطبة معتز كما قال المجهول! كيف يفعل هذا بها وبالجديدة! كيف استطاع أن يكون بتلك الحقارة!تريف فقط أن تذهب له و تسأله سؤالا واحدا:أكان منزلكم يعاني من نقص الغذاء في طفولتك فأطعمتك أمك مساحيق الكذب بدلا من الطعام فأصبحت تجري في دمائك مع كرات الدم البيضاء؟
ستذهب له وتخبره أنها لن تسامحه ما حيت! ستخبره أنه أحقر من أنجبت الأرض! ستخبره أنه قاتل يجب اعتقاله! تركت سيارة الأجرة سريعًا و دلفت للقاعة بنبضات قلبٍ متسارعة، همت لتفعل ما نوت عليه لكن قدماها لم

تتحرك من موضعهما على باب القاعة، ألقت نظرة واحدة من بعيد حطمت على توقعاتها! كانت صدمتها لا توصف بكلماتٍ! كيف هذا الذي تراه! لو أقسمت لها شعوب الأرض أن هذا سيحدث لما صدقتهم!

لم تستطع أن تفعل شيئًا من هول المشهد سوى أنها استدارت تركض مرة أخرى نحو الشارع بضربات قلب تكاد تحطم قفصها الصدري. أخذت تركض في الشارع دون وجهه بعقل ينهار وجهازٍ عصبي منتهك وعيون اغرورقت بالدموع حتي أختفت الرؤيه.

كان هناك عجوز جالس على مقعدٍ على إحدى ضفتي الشارع، سمع صوت صرير مكابح سيارة فنظر صوبها ليرى مشهدًا لن يغيب عن باله، شاهد سيارة متوقفة في منتصف الطريف وفتاة محلقة في الهواء ثم هوت نحو الأرض لتسقط بدون أي حراك!ثم انتشرت دائرة الدماء من حولها واستمرت في الاتساع!

علامات الذهول والشفقة تغطي كل الوجوه التي تجمعت حول جسد الفتاة المخضب بالدماء.

غطت الدماء كل شيء فيها حتى السلسلة التي أهدتها إليها والدتها يوما على طريقٍ كهذا!

ذهبت فاطمة بقلبٍ ملبد بالشقاء ووجه ملبد بالدماء.

كانت بدايتها على طريقٍ كهذا ... واليوم نهايتها تكتب بدمائها على الطريق أيضًا ...

وبين الطريقين حكاية ... لم تعد مجهولة ...

تمت ...

مسح شادي من أسفل نظارته بعض الدمعات التي تسللت إلى عينيه رغمًا عنه وأرخى جفنيه في أسى! لماذا يبكي! إنها مجرد شخصية خيالية! لكن أحيانًا ما نعيش بداخل أغلفة الكتب أكثر من ما نعيشه في حياتنا ... ونتأثر بحكاياتهم أكثر من ما نتأثر بذاتنا! أغلق شادي الكتاب ذا الغلاف الأحمر الذي كان صديقه في الفترة السابقة ثم وضع بداخله تلك الورقة التي كانت تحمل رسالة مقتضبة محتواها (أنا خلصت) وأغلقه كأن شيئًا لم يكن ...

في الغد سيعطي الكتاب لدنيا دون أن تلحظ أن أحدًا قرأه من قبل، وعلى كل حال هي لن تعلم أنه أتى إليها منذ فترة كبيرة وأنه تطاول واستخدم ودائع المرضى، ليته يعلم ما هو اسم كاتب هذه الرواية ليهنئه عليها وليسأله عن معنى المقدمة التي كتبت في أول الرواية ...

((حين يكون الموت أثرًا جانبيًا لدواء تأخذه رغمًا عنك . لمرضٍ لا أحد يموت بسببه نظريًا .

لكن منطقيًا ... الموت نتيجة حتمية في شكل أثر جانبي))

ما معنى هذه العبارات!

لا يفهم ... فأمامه الآن الكثير من المهام ليقوم بها بداخل المصحة .

.مصحة -البداية -.

- ما هو الإنسان إلا حيوات متتالية .
كل منها لا تمت للأخرى بصلة

لم تكن دنيا قادرة على سرد تفاصيل حياتها لكريم أو لغيره ولن تستطع أيضًا أن تعطيه ردًا على طلبه وهي بداخل المصحة ... ولن تستطع أن تعطيه ردًا وهي لا تزال مجهولة بالنسبة له. فأقل المعلومات عنها هو لا يعرفها ...
جميعها دوائر متصلة ببعضها ندور نحن في أفلاكها بلا نهاية، تحتاج أن تخبره بكل شيء لكنها لا تقدر على ذلك بنفسها ... لا تعلم ماذا تفعل! ولا تعلم هل ستقدر على تكوين حياة جديدة بعد أن تساقطت جدران حياتها لقديمة فوق رأسها!
أغلقت عيناها وتمنت أن يرسل لها الله طوق النجاة من سابع سماء ويسقط أمامها.
عاهدت نفسها أمام الله أنها لن تتركه إذا أرسله الله لها ...
أرخت جفناها مرة أخرى وغطت في نومٍ عميق ولا تدري على أي حالٍ ستصبح ...
في الصباح استيقظ شادي مبكرًا لينهي مهامه في المصحة وفي قلبه توتر وخوف من أن ينكشف أمره ...
انهمك في عملٍ شاق طوال النهار وعندما انتهى منه قرر أن يرد الأمانة لصاحبها.
لكن ما كان رقم غرفتها !!
كل ما يتذكره عنها هو أن اسمها دنيا فقط ...
حاول تذكر رقم الغرفة لكن بلا جدوى فذهب إلى مستودع الأمانات حيث يوجد سجل بأسماء وأرقام غرف المرضى، من المؤكد أنه سيوصله لغرفتها ...
مر شادي بعينه على أسماء المرضى بحثًا عن اسم -دنيا-. هبط بعينه لأسفل لكنه توقف وارتفع بعينه مرة أخرى بسرعة. ما هذا! هل ما يراه بحق أم أنه تحت تأثير الأمس! إنه ذات الاسم ... وذات رقم الغرفة الذي تذكره لتوه! لم يدري ماذا يفعل لكن بدون مقاومة أمسك بالكتاب بين يديه وركض صوب السلم!
ظل يركض ويتخطى الطوابق وحينما وصل إلى الطابق المقصود ظل يبحث بين أبواب الغرف عن الباب الذي يكمن خلفه تفسير ما رآه ...
كانت دنيا في غرفتها تتحدث مع طبيبها الصبور باسم فإذا ب الباب يفتح فجأة

بدون استئذان ويهل من خلفه شادي يتصبب عرقًا! دلف شادي لداخل الغرفة التي لم يسمح له يومًا بدخولها.
ألقت له دنيا وباسم نظرات مشدوهه ومستنكرة لفعلته لكنه لم يعبأ بها وقال من دون مقدمات:
- إنتي فاطمة النقراشي؟
حدق فيه كل من باسم ودنيا وقالت له دنيا بحذر:
- انت بتقول إيه!
- إنتي فاطمة النقراشي؟
ابتسمت دنيا بانكسار وأومأت برأسها دون أن تنبث بكلمة فقال له باسم بترقب:
- انت عرفت منين؟
- من الكتاب دا
أشار شادي للكتاب بين يديه فنظرت له دنيا بعدم فهم وسحبت شادي وأجلسته أمامها وقالت:
- إيه الكتاب دا؟
تردد شادي قليلاً ثم قال لهم كل ما حدث مع الفتاة التي أحضرت الكتاب ضمن مجموعة كتب أخرى وعن فضوله الذي جعله يفض الكتاب ويقرأه و عن محتواه و عن تلك الرسالة المجهولة التي كانت بداخل الكتاب.
ومد يده لها بالرسالة فالتقطتها بسرعة وقرأتها ثم تهللت أساريرها وقالت:
- مليكة!
- أنا مش فاهم حاجة
- هفهمك بس تديني الكتاب دا
أومأ شادي برأسه أن نعم فتحفزت خلاياها وتشجعت لتحكي له في مقابل الكتاب الذي يكمن بداخله حل مشكلتها فبدأت في السرد من حيث توقف الكتاب.
- لما وصلت لمكان الخطوبة شفت أسوأ حاجة ممكن تتخيلها، مكانتش المشكلة

في معتز المشكلة كانت في العروسة
- يعني إيه؟
- العروسة كانت علا صاحبتي
- علا! إزاي!
- هي اللي بعتتلي الرسالة عشان أروح وأعرف إني بجد كنت غبية، فضلت أجري في الشارع زي المجنونة ووصلت البيت بمعجزة، فضلت شهر تقريبًا مش بتكلم ومش بخرج من الأوضة، عملت دنيا فخيالي وعشت فيها عشان كرهت وجودي في دنيتكوا.
- وبعدين
- مبقتش عايشة تقريبًا غيرت لون شعري وقلعت الحجاب عشان أكون واحدة تانية، ولما عمي ومراته جابوني هنا اخترت اسم دنيا عشان أبقى دنيا لوحدي بعيد عنكوا.
- وليه مكتوب في الكتاب إنك موتي؟
- الأصعب من الموت هو موت القلب، وأنا فعلاً مت لما اتصدمت في صاحبتي ومعتز فنفس الوقت، فالموت هو أقرب حاجة لـ اللي حصلي، بس أهون كتير من اللي كنت فيه.
لم تكن تكذب (فالأصعب من موت الإنسان هو موت ما يجعل الإنسان حر)
- والكتاب دا ...
- الكتاب دا مليكة هي اللي كتباه. دي أول رواية ليها بتتكلم عن قصة حياتنا كالعادة وبعتتها لي لما خلصتها عشان أقرأها.
نظر لها باسم وابتسم ثم قال لها:
- إنك تقدري تحكي لشادي دلوقتي دا معناه إنك بتخفي يا فاطمة
فاطمة! نعم هي فاطمة النقراشي ...
نعم هي تلك الزهرة التي نشأت بين صخور الألم وذبلت أوراقها وتساقطت. لكن يومًا ما ستزهر مجددًا بالتأكيد.
اعتذر شادي لفاطمة وأعطاها كتابها ثم غادر وتركها بين مشاعرها المتناقضة

فقال لها باسم:
- لما معتز زارك هنا أنا كنت متأكد إن دا هيفيدك، ودلوقتي متأكد إنك خلاص بتخفي.
يا فاطمة مينفعش أبدًا كل واحد يقفل على نفسه دايرة يعيش فيها لوحده، ودايرة جوة دايرة هنبقى في سجن ونموت بالبطئ.
- أنا كان نفسي أعيش على مزاجي
ودلوقتي نفسي أعيش في الدنيا اللي فخيالي بس من غير خيالي نفسي مكنش محتاجة أهرب عشان أرتاح
- يبقى تحاولي تجمعي الدنيتين مع بعض: حياة فاطمة مع راحة دنيا
تحدث معها باسم كثيرًا ولم يتركها إلا عندما شعر أنها هدأت كثيرًا وأخذ منها عهدًا على أن تعيد التفكير في كريم مرةً أخرى.
خرج باسم وتركها أمام الحقيقة التي وضعها أمامها شادي.
كانت قد تجاوزت الأمر منذ مدة بمساعدة باسم لكنها لم تكن قادرة أن تصارح به أحدًا.
لكن على كل حال قد فعل فيها شادي معروفًا بإعادته الكتاب. فسيحل هذا الكتاب مشكلتها.
أخرجت أقلامها وبدأت في تدوين إحدى مذكراتها:
- عندما تنتظر داخلك وحولك تجد ما يستحق السلام ...
فسلام على هؤلاء العالقة أرواحهم والمسجونة قلوبهم وعلى من تدور الحياة بهم.
وسلام على هؤلاء المحافظين على بعض الجمال بداخلهم بالرغم من قسوة الحياة. أصحاب الأرواح الهادئة والقلوب النقية والأعين الشفافة.
سلام على لون الدمع في عينيك وشبح البسمة على شفتيك والبرودة في يديك.
سلام على الضحكات المنكسرة والنظرات المنهزمة والآمال المدمرة والأحلام المبعثرة.
سلام على كل طريق لم يكتمل وكل قلب لم يحتمل معاناة الطريق. سلام على

كل ما تستطيع كتمانة أو نسيانه أو إخفاءه خلف ألف سور...وعلى كلمات لم تقال وأفعال لم تحدث و مواقف لم تنسى وأيام رغم مرور الزمان ستظل حية.ث سلام وبعد السلام سلام على هذا الركن المظلم بداخلي الذي يحوي بداخله آلاف الذكرايات، وحكايات قبل نومي التي لا تحدث.

وروحي المنهكة ونفسي المشتاقة، سلام على احتياجي واكتفائي وبعدي وقربي وغربتي ولقائي.

على الأنفس المكسورة والقلوب المجبورة والكلمات والمدفونة والجروح التي تأبى الألتئام. سلام من روحي إلي غربة السواد وقرب الليل ونور الشمس ورياء النهار وجمال الأمطار.

منى سلام وبعد السلام ألف سلام إلى ذاك القريب البعيد القابع بداخلي ويحمل معه كل جميل. وسلام على من يأبى الرحيل.

على ذاك المنتظر المحتمل. الغريب المعروف. على كل مان كان رغم الاستحالة مألوف ... ذاك الذي رغم جهلي به تعرفه روحي وتحفظ خباياه

فسلام مني إليه وسلام مني إلىّ وإلى روحي التي تحاول رغم كل شيء المحافظة على ما بداخلها من سلام ...

وسلام على من يستحق السلام ...

- الخاطرة الأخيرة

البعيدة-

- فاطمة -

كتبتها ونامت وهي تنوي تنفيذ عهدها مع الله على أن تتمسك بطوق النجاة.

في اليوم التالي هاتفت كريم وطلبت منه الحضور فحضر على الفور فهلت عليه بحجابها الذي أبتعدت عنه لفتره ولم تعطه فرصة للحديث وبدأت هي قائلة:

- أنا مقدرش أبدأ حاجة جديدة طول ما القديم مجهول ومعرفش إذا كنت هعرف أبدأ من جديد ولا لأ.

بس كل اللي أعرفه أني عوزاك تقرأ دول ومتكلمنيش إلا بعدها

مدت يدها له بالكتاب ذو الغلاف الأحمر والدفتر الذي كانت تسجل فيه

الخواطر فمد يده والتقطهم ثم طلبت منه الرحيل قبل أن ينطق بكلمه فودعها قائلاً:

- هكلمك قريب إن شاء الله. سلام يا دنيا

ابتسمت له وقالت:

- اسمي فاطمة على فكرة.

عندما غادر كريم نظرت فاطمة لأثر الجرح في كفها الذي سببه الكوب ثم أخرجت سلسلة والدتها من حقيبتها وارتدتها وتذكرت كلما والدتها لها في الحلم: (خليكي عارفة يا فاطمة إن كل نجمة انطفت هيجي يوم ومن تاني راح تسطع

المسرح مكتظ على آخره بجمهور لا تغادر عيناه خشبة المسرح، فمنهم من سال دمعه ومنهم من لا يستطيع تحريك عينيه من مكانهما وهناك فتاة تقف بداخل الكواليس تتابع العرض، فهي تعلم صدق حقيقة كل ما يقال على المسرح، بل عاشته بالفعل.

كانت عيناها تراقب الفتاة الواقفة في منتصف المسرح تؤدي مشهد الختام وتقول بابتسامة:

- احزن وازعل وتألم بس اوعى تسمح لحاجة تقتل روحك، رغم أي وجع ... لسة روحك عايشة بتضحك لسة قلبك حر، لسة جواك صوت بيغني، لسة قلبك حي

ثم أسدل الستار معلنًا انتهاء العرض فتحركت الفتاة نحو الأخري الواقفة على المسرح واحتضنتها كالمعتاد بعد كل عرض.

غيرت البطلة ملابسها وخرجت من المسرح لتجده منتظرها بجانب -أفيش- المسرحية.

مسرحية: دنيا - عن رواية دنيا -

تأليف : مليكة الحشاش

بطولة : فاطمة النقراشي

اقتربت منه وسألت:

- عجبتك المسرحية يا كريم؟

فابتسم لها بحنان وقال:

- طبعًا وأحلى حاجة فيها أنها حقيقية
شعرت فاطمة بشيء يجذبها لأسفل فنظرت لتجد الصغيرة متعلقة بملابسها وتقول:
- هو أنتي ليه يا ماما سميتي المسرحية -دنيا- على اسمي؟
قبلت فاطمة ابنتها وقالت و بسمة التذكر تعتلي وجهها:
-عشان أنا معنديش أغلى منك يا حبيبتي.
من قال أننا نعيش حياةً واحدة؟ فما هو الإنسان إلا حيوات متتالية كل منها لا تمت للأخرى بصلة.
ف بالأمس كنا أناس لا تنتمي لشخصيات اليوم وغدًا لن نعرف ذاتنا.
فالماضي لا يتغير و المستقبل لا يعرف وكل منهم في فلكه يسبح كبداية ونهاية أبدًا لا يلتقيان.
وما بينهم هو حاضر نعيشه كل ليلة ...
وحاضرها لآن هو طفلة تحمل في رقبتها سلسلة معلقٌ بها نجمة لامعه..نجمه لامعه من السماء.
وسلاما علي من يستحق السلام!

-تمت بحمد الله-

دنيا
سلمى هيثم

بتكتب روايات .. قصص .. شعر أو مقالات
بتكتب عربي أو انجلش ..
أو حتي بترسم .. تواصل معانا و هنساعدك
تلاقي مكان لابداعاتك

تواصل معنا:-
٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١
website : www.fasla.org
E-mail -: Fasla.Pub@Gmail.com
Facebook.Com/Fasla.Pub